قراءة جديدة

في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم

بقلم
الدكتور: عبد اللطيف اليونس

هذا الكتاب النفيس .. للأستاذ" احمد سليمان معروف " .

هو مربي أجيال ، وشاعر محلق ، وبحاثة كبير .

أما في حقل التربية .. فله أثره البين ، وجهده الملحوظ ، في تنشئة الجيل الجديد .. وإعداده لغد خير ، ومستقبل مرموق .

وأما في حقل الشعر .. فله منطلقه الذي لا يجارى - في الكثير من المواقف والعديد من المناسبات .

ومنذ مدة وجيزة .. فاز بالجائزة الأولى التي منحتها ايران - لأحسن قصيدة في مناسبة معينة . وكانت قصيدته هي الفائزة .

والعجيب .. أن أسرتهم تشبه اسرة " زهير بن ابي سلمى " .

ف " أحمد " شاعر ، وأخوه " سليمان " شاعر - وقد سمعته في حفلة تكريم الاستاذ أنور الجندي ، بمدينة " سلمية " وكان في طليعة شعراء الحفل المبدعين . وأخوهما الدكتور علي سليمان شاعر - وان يكن قد اتجه أخيرا للشعر الحديث وله عدة دواوين مطبوعة . وقد يكون في هذه الأسرة العريقة شعراء آخرون لم يقدر لي أن أطلع على إنتاجهم الأدبي بعد - وأرجو أن أوفق لهذا .

وأما في حقل البحث .. فالكتاب الذي قرأته للاستاذ " أحمد " عن " الخوارج " هو من أدق الكتب التي رأيتها وقرأتها - على كثرة ما رأيت وقرأت .

وموضوع " الخوارج " رحب .. واسع الشطآن ، كثير التعقيد ، وهم ليسوا كغيرهم من الفئات المختلفة ، قد توفرت أقلام عديدة للكتابة عنهم ، وإبراز مواقفهم وأفكارهم وأخبارهم .

فأخبارهم مبعثرة في مئات المراجع .. وليس من السهل تناولها ، والالمام بها ، وجمعها في كتاب - بل ان ذلك من العسير حقا .

ولكن هذا الأمر العسير .. قد استطاع

المؤلف " أحمد سليمان معروف " الاحاطة به وتذليله ٠

وكان ذلك معجزة ٠

ومن يطلع على هذا المؤلف النفيس ٠٠ يتأكد منها ، فقلما تخلو صفحة واحدة من حواش متعددة ٠ وكل حاشية عن موضوع معين، يشير المؤلف الى وجودها في عدد من الكتب ٠٠ يذكرها ، ويذكر ارقام صفحاتها !!

أعترف ٠٠ بأني لم ار مؤلفا عنده مثل هذه الدقة في جمع المعلومات ، وسبرها ، والاحاطة بها ٠

وأعود للتأكيد بأن هذا معجزة - ولا أغالي٠

خبر صغير ٠٠ كيف استطاع أن يبحث عنه ٠٠ ليجد هنا وهناك وهنالك ! ومئات الأخبار٠٠ هي هكذا - وبتتابع واطراد وتسلسل !

أنا شخصيا ، معجب بـ " الخوارج " : ادبا وشجاعة ، واستماتة ٠٠ ونذر النفس لفكرة - يعيشون لها ، ويموتون بسببها ٠

ولكني لا أبرئهم ولا أميل اليهم - لأنهم حاولا ايقاف الركب العربي عن مهمته القومية ٠٠ ولأنهم وقفوا بوجه الشرعية ٠٠ وحاولوا النيل منها، ومن طهارتها وقدسيتها ٠

ولأنهم خرجوا على النظام العام ٠٠ دون داع ، ودون مبرر ٠ وانما ثمة مماحكات ، وادعاءات ، وسفسطات !٠٠

وفي كثير من أفكارهم سخف - ولكن هذا السخف لا يغطي على أوجه أخرى ٠٠ لها بروزها وسطوعها وطابعها ، وبلاغتها الرائعة المتميزة ٠

وقد ابرز المؤلف البحاثة هذه المواضيع بكل دقة وسعة شمول ٠٠ ودرس ذلك كله دراسة وافية كافية وعميقة ٠

وما أحسبه ترك جانبا واحدا من الجوانب المختلفة لـ " الخوارج " ، الا ووقف عنده ، وأبرزه وسلط عليه الأضواء السابرة المشعة - وبمنتهى النزاهة والمثالية وسمو الغاية ٠

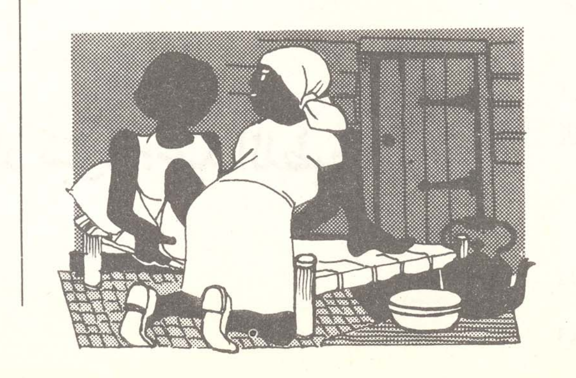
هذا الكتاب ٠٠ تفتقر اليه المكتبة العربية - لأنه يسد جانبا مهما من جوانبها ٠٠ ويصلح لأن يكون مرجعا عند دراسة تلك الحقبة الثرية من تاريخنا القومي ٠

وما أحوجنا لمثل هذه اليراعة ٠٠ التي تتمتع بخصائص وكفاية - لم يحظ بها الا نادرون٠

حقا ٠٠ إن هذا المؤلف ، الاستاذ " أحمد معروف " ، هو طاقة ضخمة ٠٠ لا حد لعطاءاتها ومثاليتها ومداها ٠

فتحية له ، وشكرا له ٠

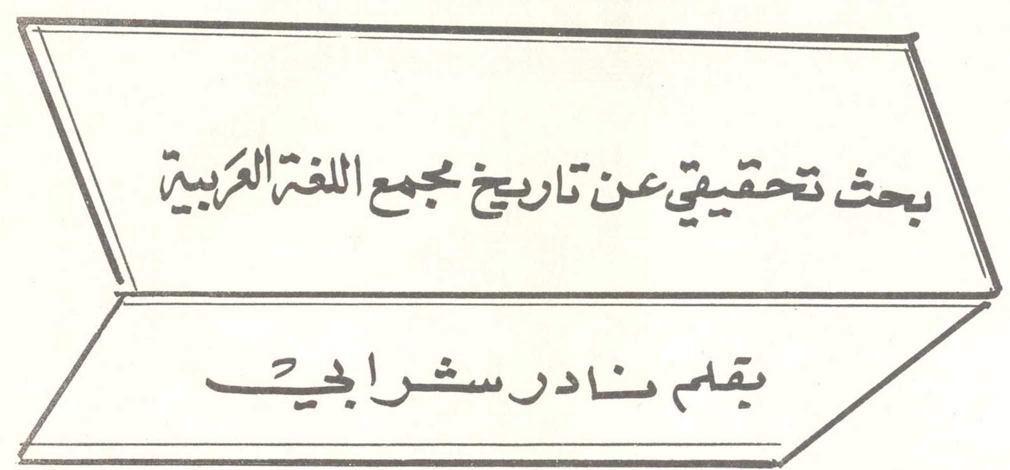
د ٠ عبد اللطيف اليونس



أيام شامية

من نشأة مجمع اللغة العربية

١٩١٩ - ١٩٩١



لا يعرف كثير من الناس كيف نشأ مجمع اللغة العربية بدمشق ولم يسمعوا عن أيام الشام التي توالت عليه منذ قرابة ثلاثة أرباع القرن حتى يومنا هذا .

ولقد أطلق على هذا المجمع في طفولته اسم : ديوان المعارف عام ١٩١٩ ثم أصبح اسمه المجمع العلمي العربي حتى عام ١٩٥٧ ثم أضحى في شبابه : مجمع اللغة العربية كما هو اسمه حتى اليوم وما زال يتمنى ككل كائن حي ، أن يعيش في شباب دائم ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه .

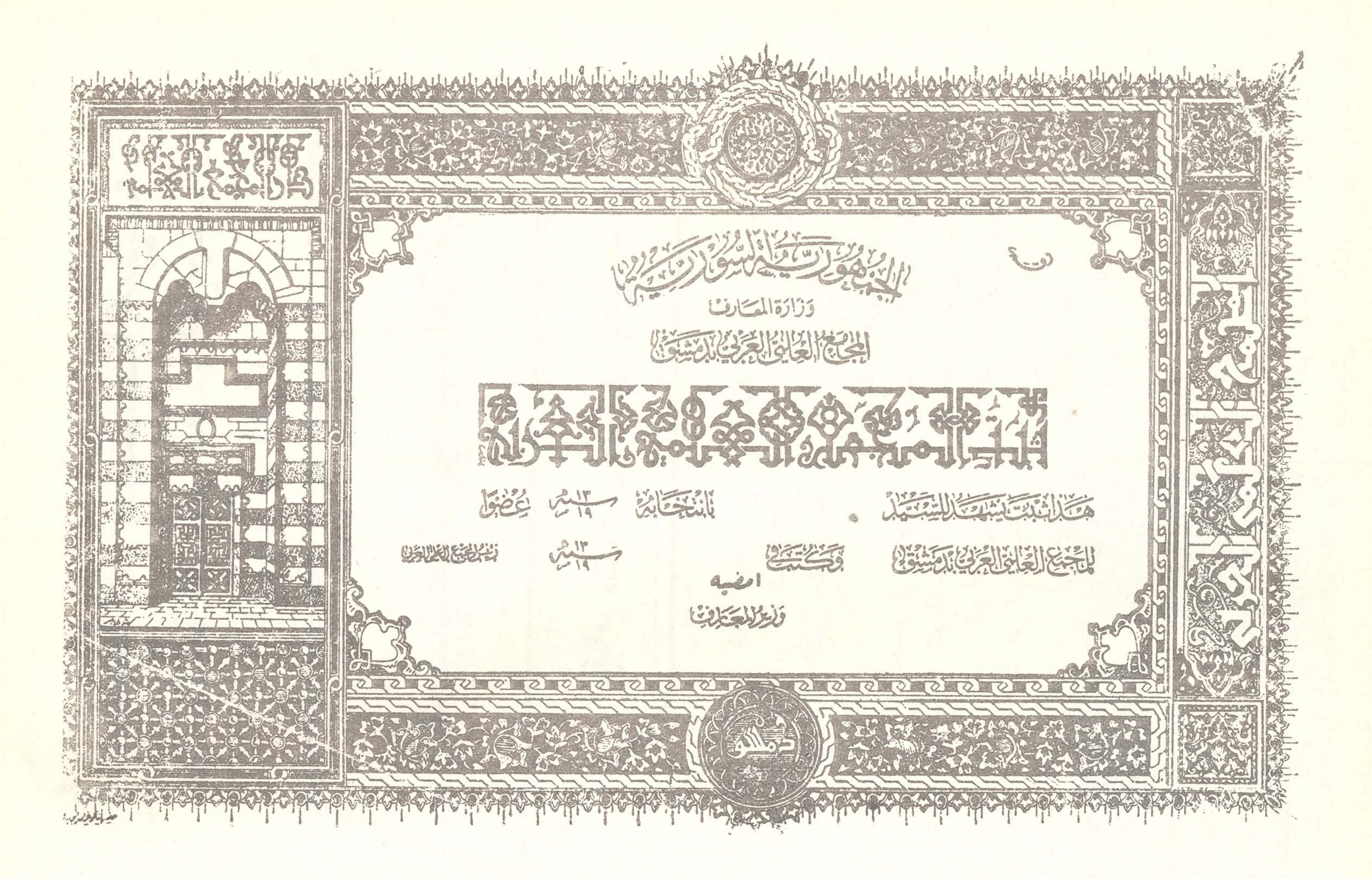
شعبة الترجمة والتأليف :

ففي تاريخ ٢٨-١١-١٩١٨ وبعد انحسار الحكم العثماني عن بلادنا في أعقاب الحرب العالمية الاولى قررت الحكومة العربية الفيصلية التي تشكلت في ٥-١٠-١٩١٨ انشاء دائرة رسمية لنشر اللغة العربية في الدوائر الحكومية والمدارس : وأسمتها شعبة التأليف والترجمة .

قامت هذه الدائرة بنشر المصطلحات العربية مكان التركية كما دربت الموظفين على قواعد الانشاء العربي ونجحت هيئة الترجمة في مهمتها . واصبحت الدولة جديرة باسم الدولة العربية الفيصلية وكان الفريق علي رضا باشا الركابي الحاكم العسكري على رأس حكومتها .

ديوان المعارف :

وقد رأت الحكومة العربية أن تجمع فروع شعبة الترجمة والتأليف في دائرة واحدة تضم أمور المعارف العامة والتأليف والتعريب تحت اسم ديوان المعارف وأسندت رئاسته الى الاستاذ العلامة محمد كرد علي وكان وقتها صاحب جريدة المقتبس وقد عاد من الاستانة ، فنظر في شؤون التعليم وقام بتأسيس دار للآثار ودور المكتبات لا سيما المكتبة الظاهرية ومراقبة طباعة الكتب .


الجمهورية السورية
وزارة المعارف
المجمع العلمي العربي بدمشق
هذا ثبت يشهد للسيد بانتخابه سنة ١٣ ١٩ عضوا
للمجمع العلمي العربي بدمشق وكتب في سنة ١٣ ١٩ رئيس المجمع العلمي العربي
امضيه
وزير المعارف
المجمع العلمي العربي

وسوف نرى كيف اصبح هذا الرجل وزيرا للمعارف في عهد الانتداب الفرنسي وظل رئيسا لهذه الاكاديمية العربية منذ انشائها حتى وفاته في نيسان من عام ١٩٥٣ مدة ٣٥ عاما من العمل الدؤوب في خدمة العربية ومناهضة الحكم العثماني والفرنسي لا تلين له قناة وقد عرف بغزارة علمه ووفرة صداقاته لرجالات الفكر في الشرق والغرب ٠

محمد كرد علي مؤسسا :

وقد استقطب الاستاذ كرد علي هؤلاء العلماء والمجامع العلمية بواسطة المجلة الادبية التي طلع عليهم بها باسم مجلة المجمع العلمي ، فكانوا يترقبونها بشوق واهتمام بالغين ٠

وكان هذا الرجل حتى وفاته عام ١٩٥٣ بمثابة العمود الفقري للمجمع ٠

المجمع العلمي العربي :

كان طبيعيا أن تتسع أعمال ديوان المعارف وازدادت حركة التأليف والترجمة فقسمت الدولة ديوان المعارف الى قسمين :

- الاول يختص بأعمال المعارف العامة من مدارس ومناهج ومعلمين ونظم ادارية ٠
- والثاني يختص بأمور اللغة والاثار والمكتبات ٠

وقد أدى هذا التقسيم الى أن تقوم بأعمال القسم الاول : مديرية عامة أو وزارة للمعارف وان يقوم بمهام

القسم الثاني : المجمع العلمي العربي ٠

وهكذا أصدر الفريق رضا باشا الركابي الحاكم العسكري العربي أمره التالي بانشاء هذا المجمع بموجب الوثيقة رقم ٥٦٩٨-٢٣٤٧ في اليوم الثامن لحزيران ١٩١٩ وهذا نصها :

لحضرة رئيس ديوان المعارف المحترم ٠

دفعا للالتباس الذي يمكن وقوعه نسبنا ان نسمي ديوانكم بالمجمع العلمي (١ قاده مي) وانا لنرجو افراز ميزانية المدارس على حدة وارسالها الى مدير المعارف العام والسلام عليكم ٠

التوقيع

حاكم سورية العسكري العام

الاستاذ محمد كرد علي وكان من اوائل اعضائه ٠

أوائل الرواد :

ومنذ ذلك اليوم استقل المجمع العلمي الشيخ امين سويد وانيس سلوم والشيخ سعيد الكرمي والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى اسكندر معلوف ومتري قندلفت وعز الدين علم الدين التنوخي وقد انضم اليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من القاهرة ٠

وبين وثائق تأسيس المجمع صورة فوتوغرافية تضم هؤلاء السادة المؤسسين عام ١٩١٩ بالعمائم والطرابيش وصورة أخرى بعد ثلاثة أعوام وتضم أعضاء المجمع لعام ١٩٢٢ ٠

وقد ازداد عددهم الى ستة عشر عضوا وقفوا أمام الواجهة القبلية لباحة المدرسة العادلية الكبرى التياتخذهامقرا له منذ نشأته ٠

وقف في الصف الامامي الشيخ مسعود الكواكبي وأنيس سلوم فالشيخ عبد القادر المغربي ثم العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع في الوسط والشيخ سليم البخاري وسليم عنموري ووقف خلفهم على درجتي القاعة المسماة باسم الرئيس كرد علي الاساتذة :

الشيخ عبد القادر المبارك وعيسى اسكندر معلوف من زحلة والياس القدسي(الوحيد عاري الرأس) ثم أسعد الحكيم وفارس الخوري فالشيخ بهجة البيطار وسليم الجندي وعبد الله رعد وعارف النكدي واخيرا الدكتور مرشد خاطر ٠

من وثائق التأسيس :

ونجد بين وثائق التأسيس هذه المذكرة الموجهة من ادارة المخابرات العامة العربية للحكومة الفيصلية بتوقيع الحاكم العسكري العام الفريق الركابي قبل خمسة أيام من تسمية المجمع للمحافظة

على الآثار وهذا نصها :

الحكومة العربية العسكرية العامة في سورية
مديرية المخابرات العامة ، ٥٦٢٩-٢٠٧
لحضرة رئيس ديوان المعارف المحترم

نبعث اليكم طي كتابنا بصورة من منشورين في كيفية المحافظة على الاثار القديمة لتضعوها موضع العمل والسلام عليكم ٠

٣ حزيران ١٩١٩ حاكم سورية العسكري العام
التوقيع

بيان عن الثورة العربية وقادتها :

وكان ديوان المعارف قد وجه الى الحكومة العربية كتابا يطلب فيه الموافقة على وضع مؤلف عن الثورة العربية تخليدا لذكراها وبطولات رجالها وهذا اهم ماجاء فيه :

الشعبة الاولى	تاريخ الصادرة	رقمها
ديوان المعارف	١٩ شعبان ١٣٣٧	١٣٢
	١٩ أيار ١٩١٩	

الى دولة الحاكم العسكري العام

قد عزمنا بعد الاتكال على الله تعالى على تاليف كتاب يتضمن اخبار الثورة العربية واسبابها وما جرى في أثنائها من الوقائع التي قام بها قواد الجيش العربي وشجعانه وما قيل من الخطب والاشعار والتهاني التي قيلت عند انتهائها ٠٠ فنرجوا إعلان ذلك للقواد في تلك المعارك ليتكرموا باخبارنا عن المواقع - وبما ان هذا سيكون ذكرا خالدا للعرب يتجلى فيه شهامتهم ووطنيتهم فان وقع لدى دولتكم موقع الاستحسان تفضلوا باجراء ايجابه والسلام عليكم ٠

رئيس ديوان المعارف
التوقيع

رجال الحكم الوطني وحكام الانتداب :

أما الرواد الذين ظهر هذا المجمع في أيامهم منذ عام ١٩١٩ فأشهرهم : الملك فيصل بن الشريف حسن ٠

الفريق علي رضا باشا الركابي
الاستاذ الرئيس محمد كرد علي

ومن ينظر في وثائق أعمال المجمع يجد فيها اسماء اعلام فيهم رؤساء الحكومات والوزراء والادباء والزعماء والمندوبون السامون وأعوانهم ٠

وهذه ثلة منهم : الشيخ تاج الدين الحسيني رئيس الوزراء ثم رئيس الدولة السورية وحقي العظم رئيس الحكومة فيما بعد في عهد الانتداب الفرنسي وعطا الايوبي رئيس الوزراء ونصوحي البخاري وحسني البرازي ومحمد علي العابد رئيس الدولة خلال اواسط الثلاثينات ٠

رجال العلم

والجنرالات كاترو ويغان وساراي وغاملان وبونسور السفاح اولفارروجيه ومن الشعراء والعلماء أميرهم أحمد شوقي وحافظ ابراهيم والاخطل الصغير وطه حسين والصافي النجفي وبدوي الجبل وعمر ابو ريشة وشكيب ارسلان وكامل الغزي* والعقاد ومصطفى جواد وعبد العزيز البشري وابراهيم المازني ومصطفى الرافعي والمنفلوطي والكواكبي وأحمد أمين وفكري أباظة ومحمود تيمور والجندوي والمودودي وشيوخ الازهر والمحاسني واحمد حسن الزيات وعائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء ومي زيادة وامينة السعيد ووداد سكاكيني وروز اليوسف وكرم ملحم كرم وميخائيل نعيمة ومارون عبود ولفيف من شعراء المهجر وسواهم ٠ وجميعهم كانوا على اتصال ثقافي مثمر بالمجمع العربي الدمشقي ٠

المستشرقون :

ومن المستشرقين الذين كانوا على اتصال بهذا المجمع العامر كارل بروكلمان صاحب كتاب تاريخ الادب العربي في ستة مجلدات محفوظة بقاعة خليل مردم للباحثين مع النسخة الاصلية باللغة الالمانية ٠

ولويس ماسنيون الفرنسي وهلموت رتر الالماني ومارجلوت البريطاني وتضم وثائق المجمع مذكرات كذبوها بخطوطهم العربية الفصحى في مراسلاتهم للمجمع العلمي واربري وجب وهارتمان وشولتز وفرانشيسكو وكراتشكونسكي وهم على التوالي من فرنسا وانكلترا والمانيا والنمسا وايتاليا وروسيا وفيليب حتى من الولايات المتحدة الامريكية كلهم اسهموا مع مجمعنا في مضمار الاديب والتاريخ والعلوم واللغة ومن ينقب في أعلام الزركلي يجد لأكثرهم ترجمات شخصية لاعمالهم ونشاطاتهم العلمية .

والباحث في وثائق اعمال المجمع يعجب فما استطاع الاستاذ الرئيس كرد علي الحصول عليه من كنوز الفن والمعرفة من شتى أنحاء العالم وهو لا يملك سوى مجلته الشهرية التي المحنا اليها في هذه العجالة الوجيزة من تاريخ مجمعنا اللغوي رغم توقيف صدورها مرارا من قبل حكام الانتداب الفرنسي .

المؤسسات الفكرية الصديقة للمجمع :

- المجلة الطبية العلمية للدكتور فؤاد غصن (مدير صحة بيروت) ١٩٢٣ .
- جريدة الفيحاء الدمشقية آب ١٩٢٢ .
- الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية (بروفسور كامب ماير) برلين ١٩٢٥
- جريدة الهدى لنعيم مركزل نيويورك ١٩٢٥
- جمعية قدماء المدرسة الصادقية تونس ١٩٢٥
- جريدة الاهرام انطون جميل مع طلب اسماء اعضاء المجمع القاهرة ١٩٢٧
- الرابطة الموسيقية بدمشق
.
- المجمع العلمي لاستقصاء أحوال الشرق
- مجلة الشرق البرازيل ١٩٣٠
- جريدة صوت الحجاز مكة المكرمة محمد صالح نصيف ١٩٣٠
- مديرية معارف حكومة فلسطين القدس ١٩٢٧
- جريدة المقتبس لصاحبها نجيب الريس دمشق ١٩٢٧
- الجمعية المركزية لعلماء الهند دلهي ١٩٢٥

ومن أطرف هذه الوثائق نشرة صدرت في بيروت في ٤-٤-١٩٢٥ بتوقيع يوسف الغليوني واصفا نفسه بصديق الصحافة واحد خدمة لغة الضاد ينادي فيها جميع الصحافيين الافاضل في الشرق والغرب .

ويرجو من مروءتهم وغيرتهم على العربية الفصحى ادراج كلمته التالية في ثلاث نشرات متوالية من صحفهم الغراء .

وقد ابتدأ نداءه بهذا البيت لأمير الشعراء أحمد شوقي :

ان الذي ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

ثم كتب : بعد الاتكال على الله تعالى الذي جعل اللغة العربية شامة في وجنة اللغات قد وطنت نفسي على ان اجمع كل ما دبجته اقلام الصحافيين والشعراء الذين هبوا للدفاع عن الفصحى ردا وتفنيدا لمقالة حضرة الخوري مارون غصن الذي سعى لقتل لغة الضاد منتصرا للغة العامية لتقوم مقام الفصحى الشريفة .

وكلنا يعلم ان محاولات استبدال العامية بالفصحى مازال قائما ولن ينجح استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

نداء الى العلماء والاكاديميات :

وهو بعنوان : الحكومة العربية : المجمع العلمي العربي تقابلها من الزاوية اليسرى عبارة يقول البيان : سيدي

تألف مجمعنا العلمي في أوائل سنة ١٩١٩ من ثمانية أعضاء ورئيس وقد وكل اليه النظر في اللغة العربية ونشر آدابها واحياء مخطوطاتها وعني ايضا بجمع الوثائق القديمة كما غني بجمع

المخطوطات القديمة ٠٠ فاتخذ له مقرا في اقدم مدرسةعربية من مدارس دمشق وهي المدرسة العادلية الكبرى ٠٠ وأفرز منها قسما لدار الاثار المفتوحة الأبواب للمتفرجين ٠

وآتخذ المجمع مقرا للمكتبة العامة مدرسة الملك الظاهر بيبرس النبدقواري المتوفى سنة ٦٧٦ هـ وفيها ضريحه وضريح ولده الملك السعيد كما في العادلية ضريح الملك العادل سيف الدين المتوفى عام ٦١٥هـ وقد أصبحت المدرسة الظاهرية مكتبة عامة اعتبارا من عام ١٢٩٨ هـ و ١٨٨٠ م وقد اجتمع فيها نحو اربعة الاف مجلد معظمها مخطوط قديم

ذلك فضلا عن عناية هذا المجمع بوضع بعض التواريخ وتعريب بعض الكتب المفيدة وسوف يصدر قريبا مجلته باسم مجلة المجمع العلمي العربي شهرية مصورة ينشر فيها أعماله وأفكاره لتكون رابطة بينه وبين دور الكتب والاثار والمجامع العلمية في الشرق والغرب ٠

هذه نبذة من أعمال مجمعنا الحديث النشأة فنرجو اذن ان تتوثق عرى لصداقة مع المجامع العلمية والجامعات والمتاحف في الغرب والشرق فاذا راق لكم عمله هذا نرجو ان ينالو شرفا بتكرمكم عليه ومؤلفاتكم المفيدة ليستفيد منها ويضيفها الى الجامعة كما انه سيقابلكم بالمثل فيما ينشره من أعمال ٠

وهذا عنوان مراسلته : دمشق المجمع العلمي العربي - دمشق ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٧ هـ و ٢٠ ايلول ١٩١٩ م رئيس المجمع العربي محمد كرد علي ومن تحليل هذا البيان نستقي مضامينه التالية :

١- تأسيس هذا المجمع في مطلع عام ١٩١٩ ونحن اليوم في اواخر عام ١٩٩١ اي منذ ثلاثة وسبعين عاما واضعا خدمة اللغة العربية نبراسا له متخذا مبنى العادلية الكبرى العريقة مقرا له مخصصا جانبا منها لمتحف الاثار القديمة

٢- جعل مدرسة الملك الظاهر مقرا لمكتبة عامة هي دار الكتب الظاهرية الشهيرة والمقابلة للمدرسة العادلية المتخذة مقرا للمجمع العلمي لمدة تزيد على ستين عاما وكانت المدرسة الظاهرية قد بدأت تحشد الكتب والمخطوطات للمطالعة اعتبارامن عام ١٨٨٠

٣- تعهد المجمع باصدار مجلة فصلية باسمه ظلت تصدر حتى عام ١٩٥٨ فيما عدا فترات انقطاع مدونة بتاريخ المجمع وكانت هذه المجلة محط أنظار القراء في الشرق والغرب

٤- التطلع الى توثيق عرى التواصل مع الاكاديميات والجامعات العالمية مما حقق التعادل بين المجمع الدمشقي قرروصفائه في العالم العربي وعالم الثقافة في أوربا وامريكا والهند والمهجر وهنا تتجلى براعة صاحب هذا البيان العلامة محمد كرد علي في توجيه انظار العالم المتمدن الى أهمية نشوء مجمع أكاديمي في دمشق أقدم مدن التاريخ بالذات وبذلك اكتسب مجمعنا اللغوي شهرة عالمية وأنهالت عليه مناهل المعرفة مطبوعة ومخطوطة من كل بلد كما تجاوزت شهرة رئيسه كرد علي واعضائه الافاق المتحضرة ٠

تقرير رئاسة المجمع الى رئاسة الحكومة :

ومن وثائق المجمع الهامة تقرير موجه الى رئيس الاتحاد السوري السيد صبحي بركات بعد عام ١٩٢٣ كما ورد بالميزانية أعده الاستاذ الرئيس كرد علي مطبوعا في كراس صغير بعنوان : أعمال المجمع العلمي العربي : تاريخه - أعماله - الغرض منه - أعضاءه - أقوال العلماء فيه يقول فيه : مولاي الرئيس المعظم :

" تعلمون أيدكم الله أن أهم المجامع الادبية في جاهلية العرب سوق عكاظ ومربد البصرة وأهمها في الاسلام المجمع الذي انشأه امير المؤمنين المأمون العباسي في بغداد لنقل الكتب العلمية الى اللسان العربي مؤلفا من أهل الملل المتخالفين في العقائد المتفقين في السعي لاشرف المقاصد وقد أنشئت في الاندلس ايام عز العرب عدة مجامع واشهرها على

مايظهر مجمع طليطلة تجمع فيه أربعون عالما اما في حكومات الحضارة الحديثة فان فرنسا كانت من السابقات في انشاء المجامع .. فأسس مجمعها العلمي الفرنساوي في باريز اوائل المئة السابعة عشرة للميلاد وكانت غايته تنقيح اللغة الفرنساوية وما زال يرى من كل الحكومات التي تعاقبت على فرنسا رمن علمائها وأغنيائها ضروب المعاونة المادية والادبية ولم ينتقل اسلوب المجامع الى الشرق الا على عهد نابليون فانه أسس أواخر القرن الثامن عشر في مصر - المجمع المصري ولم يبرح حيا الى اليوم .

ولقد قامت في القرن التاسع عشر من نهضة الشام ومصر عدة مجامع وجميعها تأدبية فلم يكتب البقاء لواحد منها ..ومجمعنا هذا يشبه ولا نكران للحق في كثير من الوجوه المجمع الباريزي وعلى مثاله نسجنا " .

وهكذا يستمر التقرير في سرد بدايته في خريف ١٩١٨ كشعبة للتأليف والترجمة الى تحويله لديوان للمعارف في ١٢-٢-١٩١٩ وتأسيس دار الاثار في مقره بالعادلية الكبرى ثم جعله مجمعا علميا في ٨ حزيران من نفس العام واختيار الاستاذ كرد علي لرئاسته والعناية بدار الكتب الظاهرية المجاورة له . منوها بترميم العادلية كمقر له على طرازها العربي القديم وتكلفة بلغت ٢٥٠٠ جنيه والفي ليرة سورية ارضاء لساكنيها ليتنازلوا عنها للمجمع .

دار الاثار :

ويضيف التقرير الى نجاح المجمع بجمع الاثار بوسائل متعدده عدا الشراء الذي لم ينفق في سبيله سوى بضع مئات من الليرات في حين قدر المختصون مثل رئيس متحف كاليفورنيا انها تقدر بعشرات الوف من الليرات .

ثم يذكر التقرير كيف صدر الامر بتوقف اعمال المجمع وصرف رئيسه وأعضائه من العمل بدعوى الضائقة المالية ما بين تشرين الثاني عام ١٩١٩ الى ٧ ايلول عام ١٩٢٠ حين عهد للاستاذ كرد علي بوزارة المعارف فأعاد المجمع الى نشاطه في اللغة والادب والاثار ودور الكتب وتعريب الدواوين

مجلة المجمع :

وبهذا التاريخ اصدر وزير المعارف رئيس المجمع مجلة المجمع العلمي العربي التي كانت كما أسلفنا واسطة ايصاله بالشرق والغرب وازدياد شهرته العلمية فأصبحت كما يذكر التقرير - المجامع والجامعات تهاديه بكتبها وتدعوه الى مؤتمراتها وقد دعي هذا العام بتاريخ هذا التقرير الى باريز وبروكسل في عيد المجمع الملكي كما دعي في السنة الماضية الى مجمع المستشرقين في ليبسيك .

ثم يقول وقد ارسل المجمع مدير المتحف الوطني بدمشق الى باريز ليتلقى علم الاثار على اعظم علمائها بمدرسة اللوفر لينظم دار الاثار على اسلوب علمي فيغدو المتحف مفخرا من المفاخر القومية ، وفي نية المجمع ان يزين لاحدالدارسين الانقطاع الى مدرسة السجلات في باريز لمدة ثلاث سنين فيحسن بتنظيم دار الكتب على اسلوب علمي عملي حديث .

وينتهي التقرير الذي لا يخلو من طرائف وعبر ربما عدنا اليها في القسم الثاني عند متابعة تاريخ مجمع اللغة العربية في الخمسينات ينتهي بتعداد أسماء اعضائه مبتدئا بثلاثة أعضاء موظفين هم الاساتذة : أنيس سلوم والشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) وعيسى اسكندر معلوف (الزحلي)

ثم يذكر اسماء سائر الاعضاء عاملين ومراسلين واعمالهم العلمية ومنهم مثلا وحصرا (فهم خمسة وسبعون من العرب والاجانب) مشيرا الى اسمائهم بالعربية والفرنسية .

كالعلامة الاستاذ الشيخ سليم البخاري رئيس علماء دولة دمشق .. وفارس الخوري والشيخ عبد القادر المبارك وسليم الجندي والياس القدسي والدكتور مرشد خاطر ثم يدرج اسماء

المستشرقين من الاعلام كالبروفسور كليمان هوار والمسيو دوسو (الاثري) وفراب • والعلامة ماسنيون استاذ علم الاجتماع الاسلامي والسنيور جويدي (الايتالي) ونالينو وغريفني وآسين وبرادن وبفان والعلامة هومل وهارتمان والعلامة ساخاو والعلامة بروكلمان استاذ العربية بجامعة هاليلي والعلامة مونتيه والعلامة باسيه والعلامة مسيو ماريسه نزيل تونس الباحث الاسلامي -

ويعود تقرير الاستاذ الرئيس الى رئاسة دولة الاتحاد السوري الى تعداد اسماء واعلام الشخصيات العربية فيذكر الاستاذ امين الريحاني والعلامة الامير شكيب ارسلان والعلامة أحمد تيمور باشا والعلامة احمد زكي باشا والعلامة د • يعقوب صروف والعلامة احمد كمال الاثري والعلامة رفيق العظم والعلامة الشيخ الرحالة خليل الخالدي والعلامة الشيخ سعيد الكرمي والعلامة الشيخ احمد رضا والاب لويس شيخو والاستاذ انيكونت فيليت طرازي والشيخ عبد الله البقاعي وقسطاكي الحمصي والاب انشتاتس ماري الكرملي والعلامة محمود شكران الالوسي صاحب بلوغ الارب •

ويشير الاستاذ كرد علي قبل النهاية الى ان هذا المجمع هو الاول من نوعه في الاقطار العربية ثم يورد أقوال بعض العلماء المستشرقين في المجمع العلمي العربي قال العلامة هوتس مدير دائرة المعارف الاسلامية الذي صرح بقوله •• وثقوا اني أرى مثلكم وجوب تقوية الصلات بين الباحثين في الشرق والغرب لخدمة العلم الاسلامي • وكذلك أدرج آراء الاساتذة بروكلمين ومرخلوت وجويدي ود• هس وطالب الاستاذ كرد علي برصد مبلغ ستة الاف ليرة لتأسيس دار للكتب ومتحف للاثار في مدينة حلب ولعلها تزيد قيمة عن ستة ملايين اليوم كما طالب باضافة ثلاثة اعضاء موظفين للمجمع من الدول السورية الثلاث • ثم تمنى انشاء مكتبة ومتحف في بقية بلاد الشام كاللاذقية وطرابلس وصيدا والسويداء وتدمر وبعلبك واورد فقرة من خطاب الكولونيل كاترد مندوب المفوض السامي بدمشق هذا نصها :

" هذا المعهد العلمي الحافظ للغتكم وبلاغتكم القومية هو مزية، علوم تجدد بها أهل الاجيال الحديثة الارتباط الذي يصلها باسلافكم المجيدين •

• وليبق هذا المعهد المقدس على الدوام مركز عناية الحكومة المنتدبة والامة الفرنساوية المولعة بالعلوم العقلية والتي كانت دائما حجة بحضارتكم العربية وهي تتمنى لمجمعكم العلمي كل تقدم ونجاح •

وفي الختام طلب من مجلس الاتحاد العالي للبلاد السورية رصد الاموال اللازمة لنهوض المجمع بأعبائه ومسؤولياته تلافيا لما فرط من اهمال الحكومات السالفة •

وعلى الصفحتين الاخيرتين ١٩ و٢٠ ادرج ميزانتي العامين ١٩٢٢ - ١٩٢٣ وهذا بعض بنودهما

٥٠ دينارا سوريا للرئيس يصبح في العام التالي ١٩٢٣ ٧٠ دينارا •

٢٩ دينارا سوريا لكل عضو موظف في المجمع

١٥ دينار سوريا للكاتب

١٧ دينارا سوريا لمدير المكتبة الظاهرية •

١٥ دينار سوريا للكاتب

٢٤ر٥ دينارا سوريا لمدير المتحف

٩ر٥ دينارا سوريا لمناول الكتب

٥ر٥ دينارا سوريا للاذن

هذه أرقام موازنة عام ١٩٢٢

أما نفقات عام ١٩٢٣ فجاءت كما يلي :

٥٠٠ ل س شراء كتب واشتراك مجلات وتجليد

١٠٠٠ ل س نفقات المجلة وطبع المخطوطات

٤٠٠ ل س مكافآت للمجدين

٢٠٠ ل س ثمن آلتين كاتبتين عربية ولاتينية

٥٠٠ ل س مفروشات

٥٠٠ ل س تعميرات وترميم قبر الملك العادل والقبة وشراء الاثار •

وهي أرقام جديرة بالتأمل اليوم ••

يقع هذا التقرير في عشرين صفحة متوسطة وفي كتابنا (ايام شامية) تفصيل له وتعليق عليه

وقد وجدت لهذا البحث وثائق طريفة ومتميزة ومن المفيد ان أنوه عن بعضها :

١- السيد احمد البهنسي يتقدم الى دار الاثار الناشئة بدمشق بهدايا أثرية متنوعة مؤازرة منه لهذه الدار الوليدة .

٢- المستشرق العلامة د . ج كامبفاير يكتب لرئاسة المجمع العلمي طالبا مؤازرته في اصدار كتاب عن شعراء العرب في العصر الحاضر وهذا بعض ما ورد فيه من عبارات ادبية رائعة وبخط عربي جميل :

حضرة الفاضل المحترم

دعاني حب الادب والعرب الى اصدار كتاب عن شعراء العرب وقد عزمت ان شاء الله على تعريبه الى لغتنا الالمانية .

وقد أقدمت على عملي هذا مستعينا بالله غير ملتفت الى مادونه من المصاعب وقد أصدرت هذا القسم الصغير جامعا فيه نزرا من شعر أفاضل السوريين وسأقفيه بقسم ثان لوضع الكتاب شكله اللائق الجامع .

وفي خاتمة رسالته يقول : فإن حسن لديكم ان يكون سببا للحث على مؤازرة هذا العاجز فعلم ان شاء الله وانا لكم من الشاكرين .

المستشرق ج كامبف ماير - برلين

٣- وفي هذه الوثيقة المؤرخة في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٧ يكتب الاستاذ كرد علي كعادته الارجح وبخطه ومراجعته قبل ارساله للكاتب الخطاط مايلي الى العلامة الاستاذ بروكلمان

من أعضاء المجمع العلمي في بلاد المانيا الاساتذة هومل وريشار هارفان وساخاو لم نجد منهم حتى الان ما كنا نتوقعه في المجمع العلمي من المعاونة العلمية حاشا سيدي الاستاذ والاستاذ هورفين اما الاستاذ ساخا وفقد اعتذر بشيخوخته وهو عذر مقبول . ولكن سائر الاساتذة لم يعطفوا على عملنا . فهل يسعدني الاستاذ ان يدلنا على طريقة يمكننا بها اخذ بعض الفوائد منهم بمد ايديهم الينا لاهدائنا كتبهم ومطبوعاتهم وكنت أضن بوقتك لولا انك عودتني كما عودت جميع اصدقائك والغرب والشرق

ودمت عمادا للعلم مولاي الكريم .

٤- وفي مضمار نشاطه الادبي يقيم المجمع حفلا تكريميا لنادي الشبيبة المصري يوم الخميس ٤ آب ١٩٢٧ ويلقي عضو المجمع الاستاذ سليم عنجوري هذه القصيدة بعنوان الوحدة الخالدة وهذه أبيات منها :

بين الشام ومصر قامت وحدة
أبطالها طولون والاخشيد

أس تمتن فوق ركن تالف
وتعارف بالروح فهو وطيد

في لهجة القطرين روح واحد
أنى يبيد في شأنه التأبيد

فلساننا وبياننا وطباعنا
هي واحد وشعارنا التوحيد

ما بين جلق والكنانة عهدة
للحب تبقى والزمان يبيد

فدعوا السياسة انها ألعوبة
والله يفعل ما يرى ويريد

ولسوف نعدو كتلة ملمومة
أجزاؤها رغم الحسود سود

٥ - والوثيقة الاخيرة كلمة كتبها نجيب اليان في صحيفته الصادرة في ٥ جمادى الثانية ١٣٤٢هـ بعنوان أعمال المجمع العلمي العربي عن السنة ١٣٤١-١٣٤٢ تقول الكلمة : طالعت في هذا الاسبوع المجموعة التي اصدرها المجمع العلمي العربي فهاجت في عواطف كامنة لقد مر على اللغة العربية عهد تضعضعت فيه أركانها وانهار بنيانها بل وعهد كانت فيه (لفظة) عربي ومشتقاتها سببا للتنقيص ومدعاة لمحنة من سماء الاستبداد وتنزل عن تنطق بالعربية بل مضى ردح من الزمن عدت فيه اللغة العربية من سقط المتاع فأهملتها أكثر المدارس وأمست العربية غريبة في دارها .

ولكن هذه التطورات الغريبة لم تمس جوهر العربية ولم تحل بينها وبين رجالها الامناء فبرزت جميلة فتانة مستوفية شروط النور والحرارة لا ينقصها شيء من العناصر اللازمة للحياة العلمية والقومية ٠ مازلت منذ ثلاثين عاما ارغب في أن يتألف مجمع علمي يعني باللغة فينبه الكتاب الى الفلسفات المنتشرة في هذا العهد ٠

وهنا قد تحققت أمنيتي بظهور المجمع العلمي العربي في دمشق وسرعان ما هب الى مناهضة المولود الجديد، قوم مرادهم القضاء عليه لكنه خالد بأعماله دائم بمآثره فالخدمات التي قدمها منذ تأسيسه خير برهان على وجوب وجوده ٠ وقد اتضح لكل غيور منصف ان هذا المجمع ضرورة من ضرورات التطور الوطني الجديد

ان منزلة اللغة من الوطن بمنزلة الروح من الجسد ، وقد أهملنا لغتنا اهمالا بلغ بنا حد الجمود فوليناها ظهورنا وضربنا بها عرض الحائط ٠ ٠٠ الى أن يقول في خاتمة هذه الكلمة : فان شاء ابناء الوطن ان يكون اتحادهم صحيحا ثابتا فما عليهم الا ان يعتصموا بحبل اللغة المتين اذ ليس من مادة تصلح لتلاحم أجزاء الوطن المتفرقة افضل من اللغة الواحدة وهي المادة التي تعطر في المعهد العلمي تكرر وتصان في المجمع العربي والسلام على من اتبع الهدى " ٠

وقد وقعه باسم حي بن يقظان

ولا يخفى على القارىء ان هذه الكلمة على مافيها من ضعف الاسلوب وتفكك العبارة فقد سعت الى دعم شهرة المجمع العلمي بمالا يتعرض لسياسة الانتداب الاجنبي ، سيء الذكر خشية العقاب واغلاق الصحيفة ٠

العادلية الكبرى مقر المجمع :

تقع هذه المدرسة التاريخية الجميلة الى الشمال الغربي من الجامع الاموي قبالة دار الكتب الظاهرية في طريق باب البريد الواصل بين المسكية عند شرقي الحميدية وبين المدرسة الجاروجية الى الجنوب الغربي من العادلية الكبرى تقع العادلية الصغرى في سوق ابي عصرون المعروف بالعصرونية وفي هذه المنطقة العريقة من دمشق القديمة يرقد لفيف من الملوك والعلماء كالملك العادل والملك الظاهر ونور الدين الشهيد محمود زنكي والسلطان صلاح الدين بن ايوب شقيق الملك العادل والفخر الرازي وابو شامة والصحابي ابو الدرداء في قلعة دمشق وغيرهم ٠

أما العادلية الكبرى فقد اسس بنيانها السلطان الصالح نور الدين سنة ست وثمانين وخمس مئة للهجرة وحين توفي قبل اتمامها اعاد الملك العادل بناءها عام ٦١٢هـ وتوفي قبل اتمامها فأتمها ولده الملك المعظم كما يقول ابن شداد واوقف عليها الاوقاف ومنها جمع قرية الدريج ثم أحضر والده الذي دفنه بالقلعة وبنى له قبة كبرى في العادلية واحتفل بافتتاحها عام ٦١٨هـ مدون كما هو مدون على لوحة كبيرة فوق بابها وعليها هذه الاية الكريمة " أفلم يسيروا في الارض ينتظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة) ٠٠

وفي حفل الافتتاح ٦١٥هـ حضر السلطان المعظم وجلس في الصدر وعلى يمينه الشيخ جمال الدين الحصري شيخ الحنفية وفي المجلس الشيخ سيف الدين الامدي يليه قاضي العسكر وقبالة السلطان جلس تقي الدين بن الصلاح ٠

ويقول الاسدي اول من ذكر الدرس في العادلية كما يقول ابن كثير هو جمال الدين الحصري ثم القى الدرس فيها قاضي القضاة شمس الدين احمد بن خليل الخولي سنة ثلاث وعشرين وستمئة ٦٢٣هـ ثم شمس الدين بن خلكان وتوالى عليها الفقهاء والقضاة ثم أصابها الهدم والحرق في الغزو التتري كما يروي النعيمي عن قاضي شهبة قوله ومن تيمورلنك الى الآن لم يدرس بها احد وهي من اقدم مدارس الشافعية وفي العصور المتأخرة تحولت العادلية الى دور للسكن وحين جعلت الحكومة العربية منها مقرا للمجمع قام رئيسه

واعضاؤه بارضاء ساكنها وترميمها على النحو الذي ورد في البيان المفصل في هذا المقال وما زال في العادلية الى اليوم قاعة للبحث العلمي باسم الاستاذ الرئيس خليل مردم بك شمال باحتها الوسطى وقاعة جنوبية لاستقبال اعضاء المجمع باسم الاستاذ الرئيس علي كما توجد في دار الكتب الظاهرة قبالتها قاعتان للمطالعة واحدة تحمل اسم لشيخ طاهر الجزائري والثانية اسم الامير مصطفى الشهابي .

وجدير بالذكر ان تاريخ العادلية الكبرى حافل باسماء علماء أعلام من الشرق والغرب اقترن اسمهم بها مدرسين ومؤلفين وزائرين كالفخر الرازي وشمس الدين الخولي وابن خلكان والاميري وابن شداد وابي شامة وابن الثير وابن عساكر وابن خلدون والحلال القزويني .

وابن مالك النحوي وابن جماعة والشهاب المنيني واولاده من بعده وقد عاشت العادلية الكبرى في خدمة العربية منذ ثمانية قرون .

يقول العلامة كرد علي في خططه :

" والعادلية اليوم القصر الاثري المهم من تلك المدارس الدمشقية التي كانت في القرون الوسطى مفخر الشام والاسلام ويتابع قلت في التقرير الرابع للمجمع العلمي : وفي العادلية وضع المقدسي تاريخ الروضتين في اخبار الدولتين وفيها كتب ابن خلكان تاريخه المشهور بوفيات الاعيان وعلى باب العادلية كان يقف ابن مالك النحوي ويدعو الناس لحضور درسه ويقول : هل من متعلم هل من مستفيد ومنها نزل ابن خلدون فيلسوف العرب اوائل المئة التاسعة للهجرة .

مجلة المعرفة اشمل من عرف تاريخ المجمع :

كان لمجلة المعرفة فضل السبق الى تعريف القراء بتاريخ المجمع واعماله منذ عامها الاول حيث نشرت مقالا واسعا عن تاريخ المجمع العلمي بقلم المرحوم الامير جعفر الحسيني عضو المجمع العلمي في عددها السادس آب ١٩٦٢ كما اتبعته بمقال آخر في عددها الثالث من سنتها الثانية بقلم المرحوم الاستاذ احمد الجندي الاديب الشاعر من موظفي مجمعنا اللغوي لفترة مديدة .

كتب الامير جعفر حول الهدف الجليل الذي انشىء المجمع لتحقيقه وهو احياء اللغة العربية بعد زوال الحكم العثماني والمراحل التي اجتازها هذا المجمع حتى شب عن الطوق وذاعت شهرته في العالم واشار الى قيام المجمع بالعمل على تنفيذ أهدافه الاساسية وهي :

- المحافظة على سلامة اللغة العربية ورفع لوائها في كل ميادين الحياة .
- وضع المصطلحات العلمية والعمل على توحيدها في البلاد العربية .
- احياء التراث السلف في العلوم والفنون والاستعانة بالترجمة والتأليف والبحث والتحقيق .

ثم تحدث عن العادلية الكبرى والمكتبة الظاهرية وذكر أنها تضم بتاريخ المقال ٩٣٠٠ مخطوطة و ٩٠ ألفا من الكتب المطبوعة وقد بلغ معدل روادها شهريا ٣٢٠٠ قارىء وقد رافق نشأة المجمع جيل من الادباء الشباب حينذاك كالتنوخي والطنطاوي والبيطار ومرشد خاطر وجميل صليبا وشكري فيصل كما نظم المجمع مهرجانات لاحياء ذكرى المعري والمتنبي واحتفل بثلاثة شعراء كبار من اعضائه هم شوقي وحافظ ومطران وبأربعة من طلبة العلم المجدين هم زكي المحاسني وجميل سلطان وانور العطار وعبد الكريم الكرمي كما قام المجمع بطباعة كتب التراث لتوثيق الصلة بين ادبنا القديم والحديث كتاريخ دمشق لابن عساكر والمنتقى من اخبار الاصمعي وحكماء الاسلام للبهقي والدارس للنعيمي وسواها ويختم الاستاذ الحسيني حديثه بالاعتراف بأن المجمع قد قصر قمله على ما تقوم به المجامع اللغوية بما لا يتصل بالجماهير بل يتوجه الى طبقة مخصوصة . وهذا هو الجواب على التساؤلات التي تبحث عن الاسباب التي جعلته يكف عن القاء المحاضرات واقامة الحفلات العامة حيث اقتصر اتصال المجمع على الاساتذة العلماء

والعجيب في أمر اقتصار المجمع على الاتصال بالخاصة والاقتداء بالمجامع اللغوية في العالم انه يصدر عن احد الاعضاء والمسؤولين من أعمال المجمع حينذاك فيدعو الى ما يشبه طبقة المعرفة واتباع خطوات مجامع الغرب المتباينة مع ظروف حياتنا وحاجاتنا كأمة تواجه تحديات التطور التقني والسياسي ، وأعجب من ذلك كله ان يلتزم مجمع اللغة العربية بهذه التعويذة حتى اليوم .

عودة المعرفة للكتابة عن المجمع :

وعادت المعرفة لفتح ملف مجمعنا اللغوي ثانية في المقال الذي قدمه المرحوم الاستاذ احمد الجندي في عددها ٤٢ الصادر ايضا بشهر آب ١٩٦٥ اي بعد ثلاثة اعوام كاملة .

وعلى طريقة الاستاذ الجندي الطريفة المرحة بدأ يدلنا على موقع المدرستين الظاهرية كدار كتب والعادلية كمقر للمجمع انطلاقا من مرجة دمشق فالحميدية فالمسكية فباب البريد وفسر لنا كلمة المجمع ترجمة لكلمة اكاديميا نسبة الى البطل الاثيني اكاديميوس الذي جمع الفلاسفة في زمن افلاطون للمذاكرة في حديقة داره وانتقل الى تطور نشوء المجمع عن شعبة الترجمة وديوان المعارف بعهد الحكومة الفيصلية بدمشق عام ١٩١٨ وذكر اسماء الرواد الاوائل وجهود الاستاذ الرئيس محمد كرد علي في النهوض بمهام المجمع العلمي واشار الى صدور امر الحاكم العسكري العام بتاريخ ٨-٦-١٩١٩ بتسمية المجمع العلمي العربي وتحدث بلغة الاديب المحقق عن تاريخ العادلية الكبرى الى كبار العلماء الذين صنفوا ودرسوا وأقاموا فيها كان النعيمي ومسكويه والعز بن عبد السلام وممن لا يحدهم حصر .

ويقدم الاستاذ الجندي صورة شاعرية مثيرة حين يقول في جلال الذكرى : " ربما يقف الزائر المتفرج مكان وقوف ابن خلدون يوم زارها في رحلته الشهيرة بل وربما جلس مجلس ابن خلكان وهو يكتب تاريخه المعروف .

ويشير الكاتب الى بعض أعمال المجمع التي تذكرنا باعتزاز كاصدار مجلته التي ظهرت منذ اربعين سنة (حينذاك) والتي تصدر فصلية كل ثلاثة اشهر تضم بحوث كتاب عرب ومستشرقين كما اشار الى ان رئيس المجمع الامير مصطفى الشهابي حينذاك من اكبر المختصين في وضع معاجم اللغة والمصطلحات في هذا العصر .

ويخصص الاستاذ الجندي قسما كبيرا من حديثه للتعريف بتاريخ دار الكتب الظاهرية وشهرتها في الشرق والغرب وغناها بالكتب الثمينة والمخطوطات النادرة جدا بتاريخ هذه الترجمة . وعلى طريقة المرحوم الجندي في الهمس الصارخ يختم حديثه وهو اديب يكتب مثل مايتكلم فيقول " بقي أن أهمس همسة ناعمة في اذن الشباب المثقف وان نعاتبهم عتابا لينا يسيرا متلجلجا محتارا على حين ان العلماء والمستشرقين والسياح يفدون اليها من اقصى الارض " ثم يروي لنا شاهدا مناسبا حين شاهد من نافذة غرفته في باحة العادلية شيخا هرما يرتجف من شدة برد الشتاء والشيخوخة فنزل ودعاه الى الدفء في مكتبه ودهش لحديث الزائر الشيخ بالعربية الفصحى حديث المطلع المتتبع كاستاذ سابق في جامعة ابسالا بالسويد للادب العربي .

اما سبب مجيئه لدمشق فهي تلبية دعوة الهند في الذكرى المئوية لميلاد شاعرها الاكبر طاغور وقد قدم ليوم واحد من مطار بيروت الى دمشق ليزور مكانين اثيرين لديه سفارة بلده ومقر المجمع العلمي العربي كما تحدث في ذكراه أحد اصدقاء المرحوم كرد علي وهو الاستاذ عبد المالك الحمصي هذا العام ومن بعد قراءة حديث الاستاذ الجندي يتساءل هل تعود الى مجمعنا اللغوي تلك المكانة التي كانت له في قلوب علماء العالم واعلامه ؟

كلمة شكر :

واني لاشكر في خاتمة المطاف القارىء الكريم منتظرا من المهتمين بهذا البحث ابداء

ملاحظاتهم كما اشكر كل من ساهم في انجازه وايصال هذا القسم لديهم على ان نتابع البحث في القسم الثاني بين أعمال مجمعنا اللغوي في الخمسينات وما يليها بمشيئة الله وتوفيقه ، ولا يفوتني ان انقل للقارىء اسماء اعضاء المجمع بدمشق منذ نشأته من عام ١٩١٩ عن اللوحة التذكارية المحفوظة بمقر المجمع القديم محاولا ان ارسم بالكلمات مالا يمكن التكلم عنه بالرسوم ٠

وفيما يلي صورة الاهل عن الائحة الاسمية ٠

وهذا مضمون اللائحة التذكارية المعلنة في قاعة محمد كرد علي بمقر المجمع القديم والمعدة لاستقبال اعضاء المجمع الجدد وكانت هذه القاعة حين نشأ المجمع كعبة القصاد ومسرحا للمحاضرات والندوات ونحن نرجو ان تعود الى سابق مجدها ٠ وتندرج فيها الاسماء بحسب تدرج تاريخ الانتساب من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٧٩ واخر عضو ادرج أسمه فيها وحيدا هو الدكتور عبد الحليم سويدان عام ١٩٨٣ ٠ وهي تحوي ثلاثا وخمسين من اسماء الرؤساء والاعضاء

ومما يتضح فيها ان الاكثرية الكاثرة من الاعضاء سبقونا الى رحمة الله وقد بقي احد عشر عضوا فيها احياء بارك الله لأمتنا في حياتهم ٠

كما تشير هذه اللائحة التاريخية الى اسماء اربعة رؤساء للمجمع من اعلام الفكر العربي اولهم الاستاذ الرئيس العلامة محمد كرد علي المؤسس الاول ورئيس المجمع لاطول فترة ما بين ١٩١٩ و ١٩٥٣ يليه الاستاذ خليل مردم بك الرئيس الثاني ما بين ١٩٥٣ ١٠٥٩ والرئيس الثالث الامير مصطفى الشهابي حتى عام ١٩٦٨ والرئيس الرابع الدكتور حسني سبح حتى عام ١٩٨٦ ولم ينتخب رئيس جديد بعد وفاتهم وللمجمع اليوم نائب رئيس هو الدكتور شاكر الفحام يعاونه الدكتور عدنان الخطيب ٠

وسوف نورد بمشيئة الله في القسم الثاني من هذا البحث اسماء الاعضاء الذين اختيروا في السنوات الاخيرة ومدة العضوية مدى الحياة ٠

أما الاعضاء الاربعة الذين استقبلهم مجمع اللغة العربية في السنتين الاخيرتين فهم د ٠ بديع الكسم و د٠ عبد الوهاب حومد د ٠ جورج صدقني د ٠ عادل العوا ٠

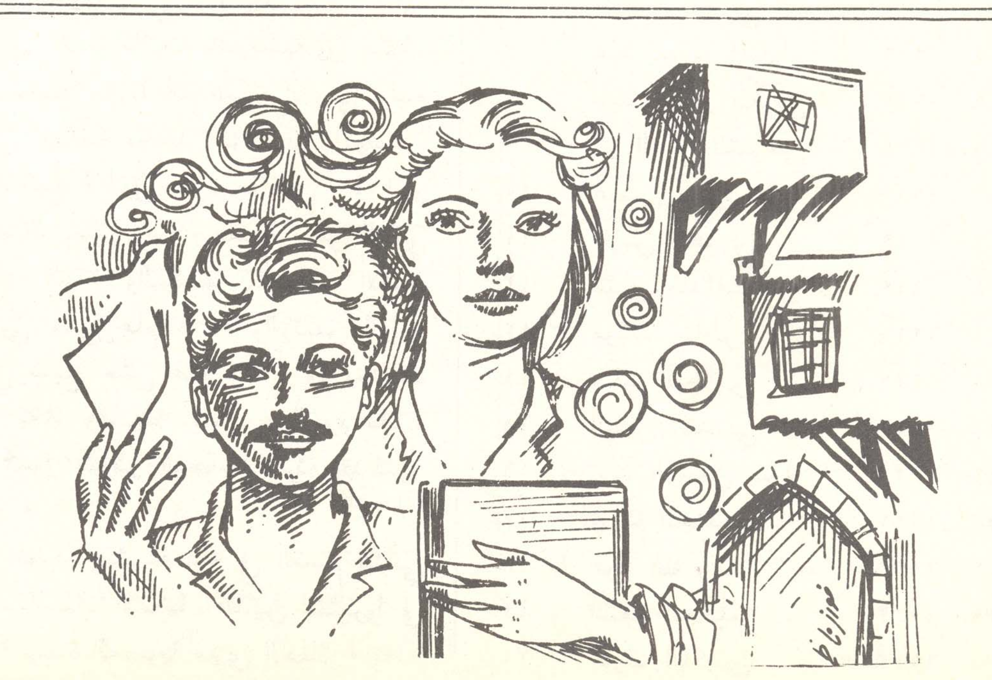
ويحقق حفل استقبال عضو المجمع تظاهرة علمية تجمع نخبة من اعلام الفكر والمعرفة ٠

الاعضاء العاملون في مجمع اللغة العربية
انشىء عام ١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م

	الاسماء	الانتخاب	الوفاة
١	محمد كرد علي رئيسا	١٩١٩	١٩٥٣
٢	امين سويد	١٩١٩	١٩٣٦
٣	أنيس سلوم	١٩١٩	١٩٣١
٤	رشيد بقدونس	١٩١٩	١٩٣٥
٥	سليم عنجوري	١٩١٩	١٩٣٣
٦	طاهر السمفوني الجزائري	=	١٩٢٠
٧	عبد القادر المبارك	١٩١٩	١٩٤٥
٨	عبد القادر المغربي	١٩١٩	١٩٥٦
٩	عز الدين التنوخي	١٩١٩	١٩٦٦
١٠	عيسى معلوف	١٩١٩	١٩٦٢
١١	فارس الخوري	١٩١٩	١٩٦٢
١٢	متري قندلفت	١٩١٩	١٩٣٤
١٣	مرشد خاطر	١٩١٩	١٩٦١
١٤	سليم البخاري	١٩١٩	١٩٢٨
١٥	الياس القدسي	١٩٢١	١٩٢٦
١٦	عبد الرحمن سلام	١٩٢١	١٩٤١
١٧	سليم الجندي	١٩٢٢	١٩٥٥
١٨	عبد الله رعد	١٩٢٢	١٩٣٦
١٩	اسعد الحكيم	١٩٢٣	١٩٧٩
٢٠	عارف النكدي	١٩٢٣	١٩٧٥

٢١	مسعود كواكبي	١٩٢٣	١٩٢٩
٢٢	محمد بهجة البيطار	١٩٢٣	١٩٧٦
٢٣	خليل مردم رئيسا	١٩٢٥	١٩٥٩
٢٤	الامير مصطفى الشهابي رئيسا	١٩٢٦	١٩٦٨
٢٥	شفيق جبري	١٩٢٦	١٩٨٠
٢٦	معروف الارناؤوط	١٩٣٠	١٩٤٨
٢٧	أديب التقي	١٩٤٢	١٩٤٥
٢٨	الامير جعفر الحسيني	١٩٤٢	١٩٧٠
٢٩	جميل الخاني	١٩٤٢	١٩٥١
٣٠	جميل صليبا	١٩٤٢	١٩٧٦
٣١	محسن الامين	١٩٤٢	١٩٥٢
٣٢	محمد البزم	١٩٤٢	١٩٥٥
٣٣	حسني سبح رئيسا	١٩٤٦	١٩٨٦
٣٤	حكمة هاشم	١٩٥٣	١٩٨٢
٣٥	سامي الدهان	١٩٥٣	١٩٧١
٣٦	صلاح الدين الكواكبي	١٩٥٣	١٩٧٢
٣٧	كامل عياد	١٩٥٨	١٩٨٦
٣٨	عدنان الخطيب	١٩٦٠	-
٣٩	شكري فيصل	١٩٦١	١٩٨٥
٤٠	محمد المبارك	١٩٦١	١٩٨١
٤١	احمد الطرابلسي	١٩٦١	-
٤٢	وجيه السمان	١٩٦٨	-
٤٣	عبد الهادي هاشم	١٩٦٨	١٩٨٨
٤٤	ميشيل خوري	١٩٧١	١٩٨٠
٤٥	شاكر الفحام	١٩٧١	-
٤٦	عبد الرزاق قدون	١٩٧٥	-
٤٧	محمد هيثم الخياط	١٩٧٦	-
٤٨	عبد الكريم اليافي	١٩٧٦	-
٤٩	احمد راتب نفاخ	١٩٧٦	١٩٩٢
٥٠	عبد الكريم زخور	١٩٧٩	١٩٨٥
٥١	احسان النص	١٩٧٩	
٥٢	محمد مروان محاسني	١٩٧٩	
٥٣	عبد الحليم سويدان	١٩٨٣	

نادر شرابي



فارس بلنسية

بقلم : الدكتور شاكر فحام

بلنسية مدينة مشهورة ، من أمصار الأندلس الموصوفة ، وحواضرها المقدمة ، تقع في شرقي الأندلس ، في سهل فسيح منبسط ، شديد الخصب ، يرويه النهر الأبيض (نهر توريا Turia) بينها وبين ساحل البحر المتوسط الغربي ثلاثة أميال (٤ كم) ، تحدها طرطوشة شمالا ، ومرسية جنوبا ، وطليطلة غربا .

وقد أطنب الأقدمون في صفتها ، وكان مما قالوه : " قد خصها بأحسن مكان ، وحفها بالأنهار والجنان ، فلا ترى الا مياها تتفرع ، ولا تسمع الا أطيارا تسجع ، ولا تستنشق الا أزهارا تنفح .. ولها البحيرة التي تزيد في ضياء بلنسية ضحوة الشمس عليها ، ويقال : إن ضياء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس ، وجوها صقيل أبدا ، لا ترى فيه ما يكدر خاطرا ولا بصرا ، لأن الجنات والأنهار أحدقت بها ، فلم يثر بأرجائها تراب من مسير الأرجل ، وهبوب الرياح فيكدر جوها ، ولها البحر على القرب ، والبر المتسع ، جامعة لخيرات البر والبحر .. وأهلها خير أهل الأندلس ، يسمون عرب الأندلس "..

وكانت مدينة بلنسية قصبة لكورة بلنسية تتبعها أقاليم كثيرة (١) .

***

لقيت بلنسية أياما صعابا في حروبها مع الاسبان الذين طمعوا فيها ، ووالوا غاراتهم عليها ، ومن يقوى على نسيان تلك المأساة المروعة التي قام بها القنبيطور (= المبارز) (٢) الذي حاصر بلنسية عشرين شهرا ، وبعد أن دخلها صلحا سنة ٤٨٨ هـ قلب لأهلها ظهر المجن ، فنكث عهودا قد أبرمها ، وعاث في بلنسية فسادا ، فانتهك حرماتها ، وأحرق أهلها ، وكان ممن أحرقهم القاضي ابن جحاف والي بلنسية ، والأديب أبو جعفر بن البني الشاعر المشهور ، ثم حول مسجدها الجامع الى كنيسة .

وبكى ابن خفاجة شاعر الاندلس مصاب بلنسية أحر بكاء :

عاثت بساحتك الظبا يا دار
ومحا محاسنك البلى والنار (٣)
فاذا تردد في جنابك ناظر
طال اعتبار فيك واستعبار
ارض تقاذفت الخطوب بأهلها
وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها
لا أنت أنت ولا الديار ديار (٤)

ولم يصبر اهل بلنسية على مانزل بهم من الظلم الفادح وما لقيهم من الحيف والجور ، فتذامروا وتداعوا لطرد المغتصب الدخيل ، واستعانوا بقوة من المرابطين هبت لنجدتهم ، فاستعادوا البلد الحبيب سنة ٤٩٥ هـ ، بعد أن ظل يرسف في أغلاله سبع سنين عجافا مشؤومات فانطقوا بأفعالهم الكريمة السنة الشعراء التي كانت حبيسة ، وبدؤوا من جديد يبنون بلنسية الغالية على قلوب أبنائها ، بعد أن غادرها الأعداء الحاقدون خرابا يبابا ، وقاعا صفصفا ، قد زرعوا

في ارضها الحرائق والدمار والموت (٥) .

***

ومضت بلنسية تعاني ماتعانيه الأندلس الصابرة من تقلب الأحداث ، حين اضطرب أمر المرابطين وخلفهم الموحدون ، وكثر الثائرون والمتمردين في أطراف الاندلس ، واشتد عدوان الاسبان المغيرين .

ولعل أجمل ايامها في عهودها الاخيرة كانت بعد أن استطاع ملك الموحدين يوسف بن عبد المؤمن (حكم ٥٥٨- ٥٨٠هـ) أن يضم بلنسية الى حوزته ، ثم اختار لها الرئيس ابا ا لحجاج يوسف بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش من رجالات قبيلة جذام اليمنية واليا عليها وعلى جهاتها ، واستقرت ولاية الرئيس أبي الحجاج بالبلاد الشرقية من الأندلس مدة حياته .

ولما توفي أبو الحجاج سنة ٥٨٢ هـ تخلف جملة من الولد الرؤساء ، تولوا ورأسوا وشهروا بالبلاد الأندلسية الشرقية (٦) .

ثم ضعفت سيطرة الموحدين على الاندلس بعد الملوك الثلاثة : يوسف بن عبد المؤمن ، والمنصور (حكم ٥٨٠-٥٩٥هـ) والناصر (حكم ٥٩٥ - ٦١٦ هـ) ودبت الفتنة في بلاد الأندلس ، وهبت ريح الخلاف والشقاق بين أهلها ، وعادت نذر الشر قوية مرعبة ، وبدأت غارات الاسبان تغادي بلنسية وتراوحها ، وتراجعت في نفوس الأندلسيين روح الفتوة والفروسية والبذل والفداء ، بل توارت ، لتحل محلها روح الجبن والتخاذل والخور والهزيمة .

وفي ظلام هذا الليل الدامس من الضعف والاستخذاء ظهر مدافع ، ابو الحملات ، قائد الأعنة ، فتى عربيا قد ورث قيم البطولة ، بطولة العرب الكرام الأولين ، ولقن منذ نشأته أن الدفاع عن الحمى ، وأن جهاد المعتدين على أطراف الوطن آقدس المقدسات ، كان لا ينفك يردد : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) (سورة التوبة ، الآية ٤١) .

عاش مدافع في كنف ابيه والي بلنسية أبي الحجاج يوسف بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي ، وترأس بعد وفاة ابيه ، كما ترأس أخوته ، ولكنه ظل الفتى الندب ، المؤمن بالمثل والقيم ، لم تغره مباهج الدنيا ، ومظاهر الملك والسلطة ، وأبى إلا أن يكون الوفي لمبادئه التي شب عليها ، الباذل نفسه ودمه فداء لها .

كان يحس دائما أن قدره أن يكون البطل المظفر ، أو الشهيد المكرم ، وكان دائم الترنم بسير الأبطال والشهداء الذين نذروا نفوسهم وقدموا أرواحهم دفاعا عن الاندلس العربية ، انهم قدوته ومطمحه والغاية التي يتشوف اليها .

وكان لا يفتأ يذكر ما قام به جده سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش سنة ٥٢٨ هـ من الدفاع عن مدينة إفراغه التي حاصرها الاسبان الحصار الطويل الشديد ، واستطاع ببسالته وصبره ونجدته واستماتته ، أن يوقف تقدم الأعداء حتى وصلت نجدة المرابطين ، واستنقذ المدينة بمعونتهم ، من براثن العدو .

ثم كان لا يفتأ يذكر ما قام به والي بلنسية عبد الله بن محمد بن سعد بن مردنيش أخو جده من الاستبسال في مقاومة الاعداء ، حتى قضى شهيدا كريما في معركة البسيط سنة ٥٤٠ هـ (٧)

وهب مدافع يذود عن الارض التي أجب ،

لم يهن ولم يجزع ، بل كان على رأس تلك الفئة القليلة التي نذرت نفسها للدفاع عن الوطن ، ووقفت تصد غارات المعتدين الذين استطالوا على البلاد ، واجترحوا من الجرائم أفدحها وأفظعها ، لا يذكرون الاً ولا ذمة : (قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر) (سورة آل عمران ، الآية ١١٨) ..

كان مدافع لا ينفك يعارك ويقاتل ، لا تفل عزيمته قلة من معه ، واستخذاء الآخرين من حوله ، وتتابع العدوان الاسباني لا يتوقف ولا يتلبث .

كان أبدا في المقدمة ، ينتظر الشهادة ،

يراها قدره وقسمته ، وفي معركة ضارية من تلك المعارك القاسية تكالب عليه الاعداء ، وأحاطوا به يطعنونه من كل جانب ، يشفون ما يغلي في صدورهم من حقد وغيظ ، وتألق وجه مدافع مشرقا وضاء ، وتطلع الى السماء يشهدها على ظلم الظالمين ، وأقدم إقدام بطل ما عرف التراجع والنكوص قط ، ومضى على غلوائه ، مشرع الراية ، كالعهد به دائما ، باسم الثغر ، طلق المحيا ، يهتف بصوت ملؤه الايمان والثقة : (وعجلت اليك رب لترضى) ، (وعجلت اليك رب لترضى) (سورة طه ، الآية ٨٤) .

ولقي مدافع ما أحب ، وسقط شهيدا في معركة البطولة والفداء ، مقدما غير محجم ، لقد قضى في ربيع العمر ، وريعان الفتوة ، أتم ما كان شبابا ونضارة ، وقدم نفسه وأمه فداء وطنه وبلده ، " إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا " .

وبكت فلنسية ابنها البار وبطلها العظيم الذي أبى الا أن يكون النور الساطع في ظلمة الليل البهيم يهدي من أحب سلوك سبيل الرشاد ، يدفع عن وطنه مستبسلا مستميتا ، دون أمل في النصر او رجاء ولكن ليضرب مثلا ، ويكون قدوة للأجيال ، يعلمها كيف يكون القتال والاستمتاتة ، دفاعا عن الحمى وذودا عن الأرض .

وراح شعب بلنسية ،ومن ورائه شعب الاندلس يردد كلمات أبي الحسن علي بن حزمون التي قالها في رثاء مدافع أبي الحملات قائد الأعنة تمجيدا للبطولة ، وإذكاء للحماسة ، واشادة بالبطل الذي انتضى سيفه ، ووقف حياته ، مرابطا مثاغرا ، صابرا مصابرا ، يدفع العدوان عن أرضه وبلاده حتى وافاه اليقين :

يا عين بكي السراج الأزهرا
النيرا اللامع (٨)
وكان نعم الرتاج فكرا
كي تنثرا مدامع
..
من آل سعد أغر
مثل الشهاب اتقد
بكى جميع البشر
عليه لما أن فقد
والمشرفي الذكر
والسمهري المطرد
شق الصفوف وكر
على العدو متئد
..
لو أنه منعاج على الورى
من الثرى أو راجع
عادت لنا الأزواج بلا افترا
ولا امترا تضاجع
..
نضا لباس الزرد
وخاض موج الفيلق
ولم يرعه عدد
ذاك الخميس الأزرق
والحور تلثم خد
أديمه الممزق
وكان ذاك الأسد
في كل خيل يلتقي
إذا رأى الأعلاج وكبرا
ثم انبرى يماصع
رأيتهم كالدجاج منفرا
وسط العرا الواسع
..
جالت بتلك الفجوج
تحت العجاج الاكدر
خيولهم في بروج
من الحديد الاخضر
يا قفل تلك الفروج
وليته لم يكسر
جعلت أرض العلوج
مجرى الجياد الضمر
..
سلكت منها فجاج فلا ترى
الا القرى بلاقع
والخيل تحت العجاج لها انبرا
وللبرى قعاقع

عهدي بتلك الجهـــات
أبـى الهـوى أن أحصيـه
يا حـادي الركب هـات
حـدث لنـا بمـرسيـه
أودى أبـو الحمـلات
يـا ويحهـا بلنسيـه
في طاعـة اللـه مـات
حـاشـا لـه أن يعصيـه
مضى بنفس تهاج مصبرا
مصطبـرا وطـائـع
وباعها في الهياج لقد درى
مـاذا اشتـرى ذا البـائـع
..
ماء المدامـع صاب
عليـك أولى أن يجـود
سقى البريـة صـاب
رزء أحلـك اللحـود
فكل خلـق أصـاب
الا الأعـادي واليهـود
ناديت قلبا مصـاب
يجـري عـلى الميـت العهـود
..
يا قلبي المهتاج تصبرا
زان الثـرى مـدافـع
ابن أبي الحجاج فهل ترى
لمـا جـرى مـدافـع
..

وبعد ، فماذا كان نصيب مدافع ابي الحملات قائد الأعنة ابن أبي الحجاج يوسف في كتب المؤرخين؟

لقد قلبت مئات الصفحات أستجلي حديث هذا البطل الكبير الذي قضى مجاهدا صابرا محتسبا ، فكان كل ما حصلت عليه نصف سطر ضائع في كتاب لسان الدين بن الخطيب يقول : " وكان مدافع قد استشهد شابا ، وفي حياة أخيه أبي السلطان عزيز بن يوسف بن سعد صاحب جزيرة شقر .. " (٩)

هل يصح لي هنا أن أقول : ما أصدق الشعر ، وما أظلم التاريخ !! ..

***

ولقد اصاب الوهن والضعف دولة الموحدين، ولم تقو على مجابهة قوى الاسبان المتدفقة من الشمال ، وعجزت عن صد الثورات والفتوق التي انبعثت في الداخل .

وجبن السيد أبو زيد آخر حكام بلنسية من الموحدين حين اشتد الهياج عليه ، وغادر بلنسية في شهر صفر سنة ٦٢٦ هـ ، فبادر الرئيس أبو جميل زيان بن أبي الحملات مدافع بن سعد بن مردنيش الجذامي بالقدوم الى بلنسية ، من مقره في حصن أندة ، فدخلها في السادس والعشرين من شهر صفر سنة ٦٢٦هـ ، فبايعه أهلها ، واشتد النزاع بينه وبين ابن هود الجذامي والي مرسية ، وانضم السيد أبو زيد الموحدي الى الاسبان ، وحرضهم لأخذ بلنسية ، ودلهم على عوراتها ، ووالي ملك أراغون خايمي غاراته يستولي على القواعد والقلاع في كوره بلنسية ليضعفها ، ويجردها من قواها ، وقد شجعه ما قام بين أمراء شرق الأندلس من نزاع وتخاصم ، ولما تم له ما أراد من الاستيلاء على شرايين الحياة في كوره بلنسية ، ونزلت الفجيعة القاصمة بسقوط مدينة أنيشة ، سار الى بلنسية بجيش كثيف ، فحاصرها في شهر رمضان سنة ٦٣٥هـ ، وضيق الخناق عليها .

ودافع البلنسيون عن بلدتهم أقوى دفاع ، ووجه الرئيس أبو جميل زيان رسله الى الامراء والولاة يستمدهم لمعونته ، وبعث كاتبه ابن الأبار على رأس وفد يستمد الحفصيين في تونس ، وألقى ابن الابار امام السلطان الحفصي قصيدته الشهيرة التي وصف فيها المأساة المروعة التي نزلت بالاندلس ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا
ان السبيل الى منجاتها درسا

..

وحال الحصار المضروب على بلنسية دون وصول معونة الحفصيين ، واستسلمت بلنسية وأذعنت لشروط الصلح في يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر سنة ٦٣٦هـ ، وخرج أبو جميل زيان أمير بلنسية في أهل بيته ، ووجوه الطلبة والجند ، وغربت شمس العرب الساطعة عن المدينة التي كانت كوكبا وهاجا ، وسراجا منيرا ، تشع العلم والمعرفة وتنشر حضارة العرب الزاهرة طوال خمسة قرون ، وخلفت تراثا أصيلا ما تزال الاجيال تنل اليه وتنهل منه ٠ (١٠) ٠

د ٠ شاكر الفحام

هوامش

(١) المغرب لابن سعيد ٢: ٢٩٧ ، معجم البلدان والروض المعطار (بلنسية) دائرة المعارف الاسلامية (ط٢ ، النص الفرنسي ، ١ : ١٠١٦ (بلنسية Balansiya)

(٢) بالغت المصادرالاسبانية والغربية في تمجيد المقاتل القشتالي ، ونسبت اليه افعالا أدخل في باب الاسطورة (دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية ٤: ١١٨ ، ١٢: ٤٢٧-٤٣٣) ٠

(٣) الظبا ، بضم الظاء ، جمع ظبة ، وهي حد السيف والسنان ونحوه ،

(٤) ديوان ابن خفاجة : ١٦٣ ، نفح الطيب ٤: ٤٥٥ ، والشطر الاخير من الابيات تضمين من قصيدة لابي تمام الطائي ٠

(٥) نفح الطيب ٤: ٤٥٥-٤٥٦ ، تاريخ ابن خلدون ، ١٦٢:٤ ، الحلة السوداء ، ٢ : ١٢٦ ، دائرة المعارف الاسلامية (ط٢ النص الفرنسي ، ١ : ١٠١٦ ، الحياة العلمية في مدينة بلنسية لكريم عجيل حسين : ١٣١-١٤١

(٦) أعمال الاعلام للسان الدين بن الخطيب : ٢٧١-٢٧٢ ، وفيات الأعيان ٧: ١٣٠ -١٣٨ (ترجمة يوسف بن عبد المؤمن) ، عصر المرابطين والموحدين لعبد الله عنان ٢: ٥٦، ٣٩٤

(٧) معجم البلدان والروض المعطار (إفراغه) ، عصر المرابطين ، والموحدين لعبد الله عنان ، ١: ١٢٠-١٢٤ ، ٣٥٦، ٣٦٠ ، ٣٦١، ٣٦٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ط٢ النص الفرنسي ٣: ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - مادة افراغة Irragha ، تاريخ ابن خلدون ٤: ١٦٦ ، التاريخ الاندلسي للدكتور عبد الرحمن الحج ، ٤٣٧، الحلة السيراء ، ٢: ٢٢٢-٢٢٣ ، ٢٥١-٢٥٢ ،

(٨) المغرب لابن سعيد ٢: ٢١٧-٢١٨

(٩) أعمال الاعلام : ٢٧٢

(١٠) نفح الطيب ٤: ٤٥٦-٤٦٠ ، الروض المعطار : ٤١-٤٢ (أنيشة) ، عصر المرابطين والمحدين لعبد الله عنان ، ٢: ٣٩٢-٣٩٤ ، ٤٣٧-٤٦٤ ، مسلمو بلنسية (بالفرنسية) لمؤلفه بيير غيشار (دمشق - ١٩٩٠ م) ١: ١٤٥ - ١٤٩ ، الحلة السيراء ، ٢: ١٢٧-٢٦٢ ، الاحاطة في أخبار غرناطة ٢: ٩٨ ٠

من اليونيسيف

دروس للرجــال

- نسبة البنات بين الأطفال غير الملتحقين بالمدارس وعددهم ١٠٥ ملايين طفل هي ٦٠٪.
- غير أن لتعليم البنت مغزاه، إذ يرتبط ارتفاع نسبة تعليم الأنثى بانخفاض عدد الولادات عن طريق استخدام موانع الحمل.
- والغريب في الأمر أن هذا الارتباط بين التعليم ومنع الحمل لا يبدو هو الحال بالنسبة للرجال. فعدد الذكور بين من يتلقون العلم في البلدان النامية أكبر من عدد الإناث، ومع ذلك فاستخدام وسائل منع الحمل الذكرية لا يمثل سوى ١٥٪ من جملة استخدام وسائل منع الحمل.



مآل تطوّر الإنسان

بقلم
نهاد خياطة

بم يختلف الانسان عن غيره من الثدييات؟؟

عن هذا السؤال يجيبنا غوردون تشايلد في كتابه الممتع " الانسان يصنع نفسه " ، يجيبنا بالقول : ان أدوات الانسان ووسائله الدفاعية منفصلة عن بنيته العضوية ، خارجة عن جسده ، ليست أعضاء من أعضائه ٠ يستطيع ان يطرحها جانبا اذا شاء ، وأن يستردها عند الحاجة ، او يستبدل بها أدوات ووسائل خيرا منها ، اما بالاقتباس او الاختراع ٠ فهو لا يرث ، بالمعنى العضوي للكلمة ، استعمال هذه الأدوات ، بل يتعلم ذلك من الجماعة التي يعيش بين ظهرانيها٠ أدوات الانسان ووسائله لا تولد معه - كما هو الشأن عند الحيوان - بل تشكل موروثه الثقافي الذي يتعلمه بعد ان يخرج من بطن أمه ٠

هكذا حقق الانسان تكيفا مع البيئة أفضل من تكيف الحيوان ٠ فالنعجة البرية تتكيف مع المناخ الجبلي البارد بواسطة معطفها السميك من الشعر والوبر ، بينما يكيف الانسان حياته في نفس البيئة بصنعه معاطف من جلد الغنم او من صوفها ٠ الأرانب ، بواسطة مخالبها وخطمها ، تستطيع ان تحفر لنفسها أوكارا تحتمي فيها من البرد القارس والحيوانات المفترسة ، بينما يستطيع الانسان ، بواسطة الرفش والمعول ، ان يحفر لنفسه ملاجىء مماثلة ، بل يستطيع ان يبني بيوتا أحسن منها من القرميد والحجر والخشب ٠ للآساد مخالب وأنياب تؤمن بواسطتها اللحوم التي تحتاج اليها ، بينما يصنع الانسان السهام والرماح يصطاد بها طرائده ٠

عيوب تكيف الحيوان انه يتطلب ان تبقى البيئة التي تكيف معها بدون تغيير ، لكن اذا تغيرت البيئة تغيرا جذريا فغالبا ما يكون متعذرا على الحيوان التكيف مع الشروط الجديدة فيؤدي به الامر الى الانقراض خصوصا اذا كان مفرطا في التخصص ٠ ولنا في " الماموت " وهو الفيل الاشعر ، أوضح مثال يؤتى به على عجز الحيوان

عن التكيف ، يقول غوردون تشايلد :

قبل حوالي نصف مليون سنة من الان كانت قارتا اوروبا وآسيا واقعتين تحت تأثير برد شديد ، عرف بالعصور الجليدية ، دام ألوف الاعوام ، في ذلك الزمان كان في جماعة الفيلة عدة أنواع نشأمنها أسلاف الفيلة الحديثة في افريقيا والهند ٠ للرد على التحدي المتمثل في شدة البرد عمد بعض الفيلة الى تطوير معطف سميك كثيف الشعر - هذا النوع من الفيلة هو ماعرف باسم " الماموت " ٠ يقول غوردون تشايلد : ان هذا لا يعني ان احد الفيلة قال لنفسه يوما : شعرت بالبرد الشديد ، لسوف ارتدي معطفا سميكا من الشعر ، ولا انه استطاع ان ينبت شعرا من جلده بفعل ارادة داخلية تتصف بالدأب والاستمرار ٠ لا فجرثومة البلازمة قابلة للتغير ، وهي في تغير متواصل ، وجد في صغار الفيلة المولودة حديثا من عنده ميل الى جلود شعراء نتيجة للتغير في جرثومة البلازمة فيما كان العصر الجليدي يشتد بردا ، ولما كبرت أصبحت شعراء فعلا ٠ في المناطق الباردة تكاثرت الفيلة الشعراء وأنشأت أسرا كبيرة ، هي بدورها شعراء أيضا ٠ تبعا لذلك ، زادت عددا وربت على حساب الفيلة التي لم تتلاءم مع الظرف البيئي الجديد ، وأعني به شدة البرد٠وبعد انقضاء عدد من الاجيال ، ثبتت سلالة الفيلة الشعراء او " الماموت " نتيجة لتراكم التغيرات الوراثية المتعاقبة ٠ وكان " الماموت " وحده القادر على تحمل الشروط الجليدية في اوروبا الشمالية وآسيا ٠

في العصور الجليدية ، وجدت عدة أنواع من البشر ، عاصرت الماموت ، كانت تصيد الحيوان وترسم له صورا في الكهوف ، لكنها لم ترث مثله معاطف شعثاء ولم تطور مايماثلها لكي ترد عنها غائلة البرد ٠ بدلا من أن يخضع الانسان للتغيرات الفيزيائية التي مكنت " الماموت " من تحمل البرد القارس ، عرف أسلافنا كيف يتحكمون بالنار ويصنعون المعاطف السميكة من جلد الحيوان : بذلك استطاعوا مواجهة البرد القارس ظافرين كما استطاع " الماموت " ٠

يولد عجل " الماموت "ويولد معه ميل الى معطف أشعر يزداد كثافة كلما ربا ونما ، على حين لا يولد طفل الانسان وقادا لنار او صانعا لمعطف ، أبوا " الماموت " ينقلان معطفيهما الى ذريتهما بالوراثة العضوية ٠ اما الانسان فيتعين على كل جيل من أجياله ان يتعلم فن ايقاد النار وأن يتعلم خياطة المعاطف من بداياتها الاولى ، الصنعة تنتقل من الابوين الى الولد بالتعليم والتلقين بالوراثة الثقافية لا العضوية ٠

الانسان و " الماموت " كلاهما تكيف او تلاءم مع بيئة العصور الجليدية ، كلاهما ازدهر وتكاثر في تلك الشروط المناخية القاسية ٠ لكن تاريخهما النهائي افترق أحدهما عن الآخر ٠ فالعصر الجليدي الأخير قد انقضى ، ومع انقضائه انقرض " الماموت " ٠ لكن الانسان ظل حيا ، ظل يزدهر ويتكاثر بل ويرتقي ، لماذا ؟ يقول علماء الاحياء : لأن " الماموت " افرط في التخصص ٠ فمع بداية اعتدال الطقس والشروط المناخية التي أعقبت العصر الجليدي الأخير ، تغطت الفيافي القطبية الشاسعة التي كان يجوبها " الماموت " ، تغطت بالغابات ، وحلت النباتات المعتدلة محل الشجيرات القطبية التي كان يقتات بها " الماموت " حيال هذه الشروط الجديدة وقف " الماموت " لا حول له ولا قوة ٠ فقد كانت خصائصه الجسمانية - ومنها معطفه الاشعر وجهازه الهضمي الذي كان تكيف على ارتعاء أقزام الصفصاف والطحالب ، وخرطومه وأظلافه التي جعلت من أجل تثبيت قوائمه في الثلج - كانت تلك الخصائص قد مكنته من النمو والتكاثر في العصور الجليدية ٠ لكن هذه الخصائص الملائمة لم تعد ملائمة بعد انقضاء هذه العصور ، اذ غدت عوائق وقيودا في الظروف المناخية المعتدلة ٠

أما الانسان فقد كان حرا في خلع معطفه ان اشتد حر الصيف وان يقتات على شرائح البقر

بدلا من شرائح " الماموت " ٠

انقرض الماموت لأنه تطور وفق سياق عرف باسم " الاختيار الطبيعي " ، وبقي الانسان لأنه يتطور وفق سياق عرف باسم " التطور الواعي او النفسي - الاجتماعي " كما يسميه جوليان هكسلي٠

هكذا ظهر مع ظهور الانسان منحى جديد للتطور ، اذ حل الاختيار الواعي محل الاختيار الطبيعي ، فقد قام علماء انتروبولوجيا ما قبل التاريخ بدرس تطور جسم الانسان وأجهزته الفيزيولوجية ، فاتضح ان التحسينات التي أصابت الاجهزة او الادوات التي صنعها الانسان وأعني بها الثقافة ، قد حلت محل التكيفات الجسمانية ، وترجع أقدم الهياكل العظمية للنوع البشري الذي نحن ذريته الى المراحل الاخيرة من العصر الجليدي الاخير ، والى الحقب الثقافية التي اصطلح على تسميتها في فرنسا بالحقب الاونياسية والسولترية والمجدلانية ، وقد بلغ قرب هذه الهياكل من هياكلنا العظمية حتى لا يستطيع ان يتبين فروقاتها غير الخبيرين من علماء التشريح ومنذ الظهور الاول لهياكل الانسان العاقل في السجل الجيولوجي ، وربما كان ذلك قبل ٧٥٫٠٠٠ سنة ، لم يحصل تطور على الجسم البشري ، بل واتسمت حركة تطوره بالسكون التام

كيف تأتى للنوع البشري ان يتخذ هذا المنحى الفريد الذي منحه التفريق على سائر الثدييات ؟

يقول علماء الاحياء : عقل ويدان ٠٠

انتصاب قامة الانسان جعل رأسه يتقاطع عموديا مع عموده الفقري - وبالتالي نخاعه الشوكي - مما أتاح نموا لدماغه الذي لايضاهيه دماغ اي من الثدييات القريبة منه ، وبنفس الوقت اتاح لجسمه حمل رأسه الثقيل الذي ماكان بوسعه حمله لو كان جسمه في وضع أفقي ٠ اما اليدان فقد أتاح تقاطع الابهام عموديا على راحة الكف وامكانية تعاملها مع سائر الاصابع اتاح له ان يمسك بالاشياء وان يحور او يغير فيها بحيث يستطيع ان يتخذ من يديه آلة تصنع آلة بل آلات ٠ من هنا جاء تعريف آخر للانسان بالقول إنه " حيوان يصنع آلة " من حيث ان التعريف الاول : " الانسان حيوان عاقل " ٠٠

وقد أتاح نمو دماغ الانسان نموا لمراكز النطق فأصبح الانسان قادرا على تسمية الاشياء اما بالمحاكاة او بالتواطؤ ٠ وعن تسمية الاشياء نشأ التفكير المجرد ٠

ولعله امتياز للنوع البشري حصرا ، فالفرس اذ نسميه بهذا الاسم ، انما ننتزعه من الواقع ، من جملة الاشياء التي تحيط به ، لكننا ما نلبث ان نعممه بحيث يندرج تحت هذه التسمية جميع افراد الفرس غاضين النظر عن صفاتها الثانوية كاللون والحجم الخ ٠٠

هكذا حلت صورة الشيء الذهنية المتمثل بالكلمة محل الشيء الموجود في العالم الخارجي ، وأمكن التعامل مع الصور الذهنية وايجاد علاقات فيما بينها بمعزل عن نماذجها الحسية مما أتاح التفكير والتأمل واختزان التجارب السابقة في معلومات ينقلها السلف الى الخلف ٠ وهو ما عرف باسم التقليد او المأثور ٠

مع ظهور الانسان وعى الكون نفسه ، كما يقول جوليان هكسلي ، وبوعيه لنفسه انقسم الى ذات وموضوع ، واصبح الانسان هو موضوع التطور وهو أداته ، هو المطوَّر وهو المطوِّر أصبح قادرا على التحكم بالطبيعة ، وان نسبيا ، كما أصبح قادرا على التحكم بطبيعته ، لكن بدرجة أقل - ولقد تمثل تحكمه بالطبيعة في استخراج الثروات من باطن الارض ومن سطحها : استخرج المعادن النحاس ، البرونز ، الحديد ، الذهب ، النفط الخ زرع الارض ٠٠ هجن البذور والحيوان ، وبنى البيوت الزجاجية ، روض الانهار ، ومخر عباب البحار ، أقام الجسور وبنى السدود ، شيد ناطحات السحاب ، وركب متن الفضاء الخارجي سعيا الى بلوغ المجرات ، لكنه من ناحية ثانية ،

فجر الذرة ، وأطلق قوى العماء ، التي أشارت اليها الكتب المقدسة باصطلاح " يأجوج ومأجوج " وصنع القنبلة الذرية والهيدروجينية ، ولوث البيئة واوجد خرقا في الطبقة الاوزونية . وسبب هذا التناقض فقدان التناسب بين قدرته على التحكم بالطبيعة وقدرته على التحكم بطبيعته .

ولئن كان الانسان هو موضوع التطور وهو أداته ، غايته ووسيلته ، فالى أين يسير الانسان ، وماذا يريد ان يصير ؟ هل يمكنه ان يصير أكثر من انسان ، أي انسانا يتجاوز نفسه ؟ أقول بكل بساطة ، ان فيه القدرة على بلوغ " ما بعد الانسان" ، كما عبر عن ذلك جوليان هكسلي : وانه لا بد بالغ هذه المرحلة لأنه كان قد حلم بها منذ ان صدمته حقيقة الموت ، والحلم ، في رأينا ، سبب كاف لتحقيقه ، فالانسان ما حلم بشيء قط الا حققه ، والانسان هنا أيضا أداة تحقيق الحلم وغايته ، يتحقق به وفيه وله ، ولئن كان الانسان هو ما ينقل - كما قال لوك بنوا -(ينقل المعرفة) وليس يوجه الا لأنه ينقل وبمقدار ماينقل ، فانه هو أيضا ما يحلم ، وليس يوجد الا لأنه يحلم وبمقدار مايحلم ، فالحلم هو مهماز الارادة وحافزها. حسب الانسان ان يحلم حتى يتحقق حلمه وتبقى المسألة عندئذ مسألة وقت لا أكثر ، واذا قلنا (يحلم) فمعنى ذلك أنه (يريد) لأن الحلم ينطوي على ارادة ، لا بل أن الحلم هو الارادة .

قلت ان الانسان ما حلم بشيء الا حققه : حلم بالطيران مذ رأى الطيور تحلق بأجنحتها في السماء ثم تحط على الارض ، وتستطيع مالايستطيع ، قال في نفسه : لماذا لا أفعل مثلها ؟ قبل التحدي وطار ، وهاهي ذي طائراته تدوي في أجواز الفضاء وتخترق جدار الصوت ، حلم بالمرآة ترى الاشياء وهي في أقاصي الارض ، فكان ان اخترع الرائي او التلفاز ، كل مانصنعه وما نخترعه كان شيئا حلمنا به وتطلعنا الى تحقيقه ، الحضارة البشرية بكل ما حفلت به من مخترعات وتقانيات ماهي الا تحقيق لأحلام رادودت مخيلة البشرية واجترحها مبدعوها . الحلم لا يصنعه الانسان بل هو يصنع الانسان - اعني عالم الانسان. أوليس الانسان نفسه هو حلم الالوهة بالصيرورة ، فلماذا لا تكون الالوهة هي حلم الانسان بالصيرورة ؟ ومن أجل هذا حلم الانسان بقهر الموت ، ولعل هذا الحلم أقدم حلم به الانسان نجده ماثلا في مخالفاته كلما أوغلنا في أعماق التاريخ بل وما قبل التاريخ ، كان الانسان القديم يزود موتاه بالطعام والشراب والحلي والمجوهرات بل والاسلحة ، اعتقادا منه بأن ميتته ميتة موقتة لا يلبث بعدها ان يعود الى الحياة ثانية لكي يستخدم فيها ماكان يستخدمه في حياته الاولى من هذه الاشياء والمتاع . اننا اليوم قد نضحك من سذاجته ، لكن هذه لغته في وصف حلمه ..

من بعض الوجوه ، ان مصد حلم قهر الموت ليس هو الانسان نفسه ، لأن هذا حامل او ناقل ، فهذا الحلم ليس من صنع الانسان ، بل من صنع القدرة او الارادة الكلية التي تسير العالم الى تحقيق نفسه . يبدو لي الحلم وكأنه مستقل عن ارادة الانسان ووعيه ، بل تبدو هذه الارادة وكأنها موضوعة في خدمة تحقيقه ، وهذا الوعي وكأنه صياغة من صياغته ، وكأني بالحلم جهاز نفسي يعمل بمعزل عن ارادة الانسان تماما كما تعمل أجهزة الانسان الفيزيولوجية بمعزل عن ارادته .

من أهم وقائع حلم قهر الموت ، ان لم يكن أهمها على الاطلاق ، قيامة السيد المسيح - عليه الصلاة والسلام - من بين الاموات بعد صلبه وموته بحسب الاعتقاد المسيحي ، او ارتفاعه - بحسب الاعتقاد الاسلامي - من غيرماصلب او موت ، ويبقى حيا حتى مجيئه الثاني - وسواء أكنا مؤمنين بصحة هذا الاعتقاد او ذاك ام غير مؤمنين ، فان الحقيقة الثابتة هي ان هذا الاعتقاد يعبر - فيما يعبر - عن تطلع الانسان الى عهد يستطيع فيه قهر الموت ، باضفائه هذا التطلع على

شخص السيد المسيح ، وينبغي ان نؤكد هنا أيضا ان هذا الاسقاط او هذا التطلع ليس من صنع من أسقط او من تطلع ، بل انه يطرأ عليه او يحدث له كما يقول يونغ . ثم ، انك لا تسقط نفسه على شيء او شخص الا ويصير هذا الشيء او الشخص أنت نفسك ، لكن في موضوع خارجي ، اي ذاتك متموضعة في العالم الخارجي او تصير أنت هو ..

ونحن نعلم من الميثولوجيا ان الالهة كانت تقتل او تموت ثم تنتصر على الموت وتعود الى الحياة مع تجدد الفصول ، ولا سيما فصل الربيع، من هذه الالهة اوزيريس ودموزي وادونيس ودیونیسوس ومترا. الخ ..

بمناسبة انتصار السيد المسيح على الموت ثم ارتفاعه الى السماء وجلوسه على يمين الاب ، يؤكد المأثور المسيحي ان السيد المسيح ظهر لتلاميذه بعد موته ، يقول الفيلسوف العربي الكبير المرحوم ميخائيل نعيمة : ان التسليم بذلك أقرب الى الحقيقة من نفيه " اذ ليس من الصعب ابدا على من انفتحت له ابواب المعرفة كما انفتحت للمسيح ان يتصرف بذريرات المادة على هواه . فيخلق منها لنفسه جسدا ساعة يشاء ويمحو ذلك الجسد ساعة يشاء"، الرجل وما به يؤمن ..

لكن ما هو عامل تطور الانسان في الانسان ؟

الجواب : الفعل الارادي .

ما أيسر على الانسان ، بل على الكائن الحي عموما ، ان يقوم بفعل من افعال الغريزة لما يصحبه من لذة . فهو لا يتطلب جهدا او مشقة من فاعله ، بل ان الغريزة نفسها تحض الانسان على اشباعها وتسوقه سوقا الى الفعل الذي تقوم بينه وبينها مناسبة . فلذة الجنس ولذة الطعام من الملاذ التي اذا أدمنها المرء فقد إنسانيته ونزل بها الى مستوى الحيوان ، اذ تبعده عن " قطبه الروحي وتفقده ملكاته الروحية " . الغريزة تكفل للانسان بقاءه وتضمن له التناسل والتعاقب لكنها لا ترتقي به كائنا روحيا ، فالفعل الذي يرتقي بالانسان انما هو الفعل الارادي الذي يضبط الفعل الغريزي ويكبح من جماحه على الرغم مما قد يصاحب ذلك من ألم ابتداء ، كل نجاح يحرزه الانسان فردا في هذا الميدان فانما يصب في حوض الانسان نوعا ، وينضاف قوة جديدة ، يرثها الخلف عن السلف ، وتتبدى قدرة خارقة قد تبدو طفرة في كثير من الاحيان . الانقطاع عن الطعام ولو يوما واحدا انما فرضه الانسان على نفسه لكي يشعر انه كائن أعلى رتبة من الحيوان وعلى هذا يكون الصيام تحقيقا لانسانية الانسان وتوطيدا لذاته بما هو كذلك يتقدم به ولو خطوة واحدة مهما تكن صغيرة على طريق التحقيق الامثل ، ويصب في نفس المجرى الامتناع عن الجنس في أزمنة أو أمكنة معينة ، او مع أشخاص معينين ، على هذا يكون الفعل الارادي الكابح او المنظم للفعل الغريزي فعلا أخلاقيا بامتياز اذ يرتقي بالانسان ، درجة الى الاعلى او خطوة الى الامام . وكل انتصار يحققه الانسان على الفعل الغريزي انما هو لمصلحة ارتقائه الروحي . ولذلك توجهت معظم الوصايا الدينية على النهي عن اتيان فعل (وهو غالبا ما يكون فعلا غريزيا) أكثر مما توجهت على الامر بفعل ، فقالت : " لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تشته امرأة قريبك " (اهمية فضيلة الصبر في الاسلام) - ومن شيمة الفعل الارادي تنمية ملكات وقدرات تبدو معجزات وخوارق . وبهذا الصدد يقول ميخائيل نعيمة عن العجائب التي أتى بها السيد المسيح" اننا لا نستطيع تصديقها الا اذا سلمنا بأن في الانسان قوى خارقة مازالت عند السواد الاعظم من الناس في حالة الهجوع ، وهذه القوى لا تخرج عن نظام الكون ، بل هي ضمن ذلك النظام ، اما الطريق الى ايقاظها فهو اولا الايمان المطلق بوجودها ووجود النظام الكوني ، ثم التجرد من كل حاسة وفكرة وشهوة ونية تعرقل خطى الطالب وهو في سبيله الى ايقاظها . على ان تكون غايته تحرير

نفسه وتحرير اخوانه الناس من ربقة الغريزة التي تقف حاجزا بين الانسان والله " .

وقد كانت العوائق التي تخلص منها السيد المسيح خمسة هي : غريزة الجنس ، غريزة التملك ، غريزة السيطرة ، غريزة الدفاع عن النفس ، مهما تكن الوسيلة ، غريزة الخوف من الموت .

نعود فنؤكد قائلين انه في كل مرة تنتصر فيها الغريزة على القيمة او على الفعل الارادي الذي هو كما بينا الفعل الاخلاقي بامتياز ، تنغلق المادة على الروح ، كما يعبر عن ذلك الاستاذ ندرة اليازجي ، وعندئذ يكون التطور هابطا الى أسفل او بالمصطلح الديني - سقوطا - وفي كل مرة تنتصر فيها القيمة على الغريزة تنغلق الروح على المادة ، وعندئذ يكون التطور صاعدا من أسفل الى أعلى ، او - بالمصطلح الديني - نجاة او خلاصا .

في التطور النازل او الهابط ، تكون الارادة خاضعة للغريزة ، مسوقة منها ، ان هي الا أداة تنفذ ما هي مجبرة على فعله . اما في التطور الصاعد فالارادة سائقة للغريزة ، مهيمنة عليها ، لكنها ، لكي تستطيع ان تفعل ذلك ، لا بد لها من الاستعانة بنقطة ارتكاز خارجية ، او ان شئت قلت : رافعة .

هذه الرافعة هي الدين ، كما يرى ذلك امام مدرسة علم النفس التحليلي كارل غوستاف يونغ ، فما هو الدين ؟

للدين تعريفات كثيرة تخيرت منها هذا التعريف الذي يعرضه وليام كنغزلاند ، يقول صاحب " دين المستقبل " : الدين هو الجهد الذي يبذله الانسان من أجل تحقيق طبيعته وقدراته الروحية التي فطر عليها " ثم .. كل مايمكنه خدمة هذا الجهد يجب اعتباره شيئا لاحقا بالدين ، وان لم يكن هذا الدين نفسه . ثم يقول :"وربما كان هذا الجهد في الدرجة الاولى تلمس الطريق الى الله " .

والدين ، ان كان مسعى من الانسان لتحقيق صلته بعالم مافوق الفيزياء ، الا أنه في نفس الوقت أعلى جهد انساني وأعمق غرائز الانسان تجذرا . والدين ، بما هو جهد يبذله الانسان في سبيل تحقيق طبيعته وملكاته الروحية يقع في الخط الطبيعي من تطوره بما هو مرحلة متقدمة تتجاوز نمو عقله وذكائه . كذلك هو تطلع الى بلوغ حقيقة خفية غير مرئية - سواء اتخذ هذا التطلع هيئة العلم او الفلسفة ام مايحمل - بصورة اعم - اسم الدين في اشكاله المؤسسية . ثم ان الدين ، من جانب آخر، يتابع كنغزلاند ، ليس مجرد مسألة خلاص فردي .. انه سياق كوني لا يستطيع الانسان بأي طريقة من الطرق ان ينفصل عنه . انه الجهد العظيم الذي يبذله " كل الخلق " للعودة الى منبعهم بعد دورة الصدور او الذهاب " . " لسوف أقوم وأذهب الى أبي "- هكذا قال السيد المسيح . وهو في الاصل سعي الانسان الى ان يجد نفسه ، الى أن يحقق نفسه .

لقد جاء الدين من كون الانسان ذا طبيعة روحية - اي من كونه حيوانا متدينا ،لا من كونه حيوانا عاقلا او ناطقا ، ولا من كونه حيوانا يصنع آلة . فالدين ، وان بدا مرتديا ثوب العقل ، الا انه شأن غير عقلي في الاساس ، من حيث إنه " تلمس الطريق الى الله " كما يقول كنغزلاند ، ليس أقل من العقل كما يتوهم البعض بل أكثر منه . ان الروح تستخدم العقل لكي تظهر ذاتها وتعبر عن نفسها بلغة يتفاهم بها الناس . ونخطىء فهم الدين اذا وقفنا عند حدود اللغة ورحنا نناقش طروحاته كما نناقش قضية فلسفية او علمية . فاللغة الدينية لغة رمزية بامتياز . ومن طبيعة الرمز يقول بنوا - ازدواجية المعنى ، بل" قابليته لأن يفسر تفسيرات كثيرة ، كلها صحيحة من مختلف وجهات النظر " وأدق من هذا قول السهروردي ان"الرد على الرمز متعذر لتوقف الرد على فهم المراد وهو باطن غير

مفهوم ، والمفهوم منه ظاهر غير مراد " .

في علم النفس الديني ، النفس نفسان ، سفلية وعلوية ، السفلية مهمتها تلبية احتياجات الانسان الغريزية والدنيوية وتتجه بالطاقة النفسية من محور المركز الى المحيط ، ومن الداخل الى الخارج . والعلوية مهمتها تلبية احتياجات الانسان الروحية (تلمس الطريق الى الله) وتتجه بالطاقة النفسية من محور المحيط الى المركز ، ومن الخارج الى الداخل .

عندما أكل آدم من الشجرة المحرمة كان يعبر عن رغبته في الانفصال عن عالم الله والانتقال الى عالم آخر يلبي فيه احتياجاته الغريزية وشهواته الدنيوية - وبمعنى آخر - عن حريته في اتخاذ القرار ولو كان عصيانا ، اي ضم نفسه العلوية الى نفسه السفلية ، او انحباس الروح في المادة ، وهذا هو الموت ، وما السقوط او الهبوط الا فقدان الوعي الكوني والنزول الى مستوى وعي الانية منفصلة عن جذرها ومنبعها .

في القرآن الكريم نجد الانسان قد خير بين ان يبقى في رحاب الله تعالى حيث لا مرض ولا شيخوخة ولا موت ، وبين ان يستقل بنفسه عن الله ، فتخير الاستقلال بارادته عن ارادة الله وكان هذا الانفصال خطيئته التي دفع ثمنها مرضا وشيخوخة وموتا . وهذا هو مؤدى قوله تعالى : " انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا " . وليس كالاسلام لارادة الله تعالى مايرأب الصدع ويرجع " الخروف الضال " الى حظيرة الراعي .

لكن ، ماذا يعني الانتصار على الموت والجلوس عن يمين الاب ؟ بكل بساطة ، يعني اندراج النفس السفلية في النفس العلوية حيث تتطهر الاولى وتصبح لائقة للجلوس الى يمين الحضرة . وهو التقاء النهاية بالبداية ، والالف بالياء ، يقول محمود الشبستري : " فان اتحدت نقطة ابتداء (الانسان) مع نقطة انتهائه ، لم يبق ثم مكان لملك او نبي ". حيث تسقط الاوامر والنواهي وتختفي كل اشارة ، كما يقول السهروردي .

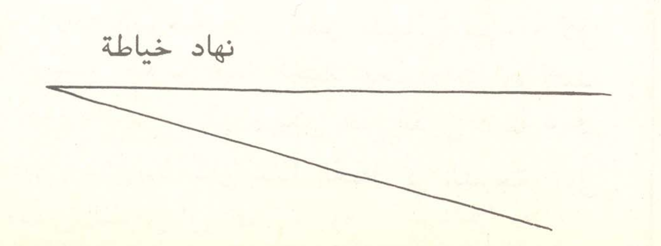
اذن ، ماعلى الانسان الا ان يصل ارادته بالارادة الكونية التي توجه مسيرة التطور صعودا الى حيث تتلاقى الالف والياء ، او النهاية بالبداية، في هذه الحالة لا يعتمد الانسان على ارادته وحدها بل على ارادة الله تعالى التي تضمن له الانتصار على الحيوان الذي فيه . وفي هذه الحالة ايضا يكون الانسان منسجما مع حركة الكون التصاعدية سائرا والوجهة التي يسير اليها " كل الخلق." وهذا هو " الاسلام " بالمعنى الاوسع للكلمة ، الاسلام الذي تندرج تحته جميع الاديان بلا استثناء .

في كتابه القيم « رد على اليهودية واليهودية المسيحية » يقول الاستاذ ندره اليازجي :

« لما كان الانسان الأول قد سقط من عليائه فانه خضع لمملكته الجديدة ، وهي مملكة المادة والموت ، فلو أن آدم ظل في عليائه ولم يسقط لما مات ولظل حيا ، اي ان حياته كانت في الله . ولكنه سقط فخضع للموت ، وخضوعه للموت يعني خضوعه لعالم المادة وقوانينها اي الانحلال والفساد والموت هو ثمن الخطيئة . اذا من لا يخطىء لا يموت .. »

ونحن نرى ان استمرار مؤسسة الموت في الوجود علامة على وجود النقص فما دام هناك نقص فهناك موت ، لأن الموت ضرورة للتطور وبالتالي لبلوغ الكمال ، وبالكمال يموت الموت ، في المأثور الاسلامي : يؤتى بالموت يوم القيامة في هيئة كبش أملح ويؤمر جبريل بذبحه فيذبحه .

نهاد خياطة



رحيل الشاعر المهجري

فارس بطرس

صاحب ديوان "أضواء وأنواء"

حياته وآراء بعض الأدباء في شعره

بقلم
يوسف عبد الأحد

هو من مؤسسي " عصبة الادب العربي في سان باولو البرازيل ·

انتخب رئيسا لها بالاجماع عام ١٩٨٠ تقديرا لمواهبه الشعرية الابداعية واخلاصه لرسالة الكلمة ·

حمل على منكبيه هموم وطنه وأوجاعه أينما حل ورحل ·

وافته المنية في السادس من نيسان ١٩٩٢

** ** **

في قرية صغيرة هادئة تدعى (خربا) وتقع على حدود محافظتي السويداء ودرعا ، كان مولد الشاعر المهجري فارس بطرس عام ١٩٠٦ م ·

تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة القرية ثم التحق بالكلية الاستعدادية الاميركية في القدس عام ١٩٢٢ وتابع دراسته فيها حتى عام ١٩٢٥م وفي تلك السنة اندلعت الثورة السورية الكبرى وانقطعت المواصلات بين جبل العرب وبيت المقدس ، فاضطر الشاب الى الهجرة والاغتراب لكسب العيش فشد الرحال الى البرازيل عام ١٩٢٦ وبدأ عمله في حمل الكشة وواجه صعوبات ومشقات كثيرة ولكنه لم ينقطع عن مطالعة ما يتيسر له من مجلات كالهلال والمقتطف والفنون وغيرها فتكونت عنده ذخيرة شعرية ممتازة وتفتحت مواهبه وبدأ ينظم الشعر وينشره في الصحف والمجلات المهجرية ولمع اسمه في الاوساط الادبية ·

وتنادى في سان باولو بعض الادباء والشعراء لانشاء رابطة أدبية تضمهم فكان فارس بطرس من مؤسسي عصبة الادب العربي ·

ومن أهم أهدافها الحفاظ على الحرف العربي وتعزيز لغة الضاد في المهاجر ·

وفي عام ١٩٨٠ انتخب رئيسا للعصبة تقديرا لمواهبه الشعرية واخلاصه لرسالة الكلمة ونقاء الحرف ·

أصدر الاديب نعمان حرب كتابا عن الشاعر فارس بطرس ضمنه مختارات من شعره

ودراسة مستفيضة عن أدبه جاء فيها :

* ينتقل فارس بطرس في شعره من مرحلة الى مرحلة أقوى وأعمق وكلما انصرمت الايام وتعاقبت السنون ازداد فكره المتوهج شعاعا ونورا ٠

أنشد الشاعر فارس بطرس كغيره من شعراء المهجر أناشيد الجراح والشوق والحنين الى الوطن ، وحمل على منكبيه هموم وطنه وأوجاعه وكلها تبرز شاعريته الخصبة واسلوبه المتجدد ٠

قال في ملحمته الرائعة بعنوان (معركة تشرين):

أي داع أدعى لحرب عوان
من نداء الابطال في الجولان
وثبت أمتي بجيش وعزم
كوثوب الاعصار في الشطآن
زحفت باللهيب بالموت بالارواح
بالاحمر النجيع القاني
وقف البرق يسأل الارض عن أقوى
دوي يجتاح أقصى مكان
فأجابت هذي العروبة تنقض
انقضاض الاحرار من قحطان

٠٠ وفي عام ١٩٨٦ نظم قصيدته العصماء عيد الجلاء لتلقى في احتفال كبير في سان باولو وطبعها في كراس ووزعها على أبناء الجالية العربية ايمانا منه بالواجب الوطني وقدمه الناشر بكلمة رقيقة جاء فيها :

فارس بطرس يمتلك لغة شعرية متلهفة دوما الى القبض على حركات الشعور والاحساس بتركيز تصويري دقيق ، لذلك نراه دائما مصورا دقيقا يكشف الصور في شعره ويبث فيها الحياة من رؤيته فتنجلي القصيدة وتكبر المعاني وتتجسم المشاعر والاحساسات ٠

وأمام قصيدته عيد الجلاء تستيقظ فينا الذاكرة ويرتجف فينا الحنين ويغمرنا الفرح من جديد بعيد النصر والاستقلال ٠٠ عيد جلاء المستعمر عن ارض الوطن ٠٠

هو عيد الجلاء ، عيد المعالي
تتجلى به وفود الاهالي
وجيوش البلاد تهتف عرضا
يوم عرض النسور والاشبال
مهرجان الجلاء ، يقتاد شعبا
وجيوشا على دروب النضال
" أسد حافظ " عهود الاماني
يحفظ المجد لامعا بالفعال
رفعته الامجاد حرا رئيسا
وأمينا لحكم " بعث " الخصال

٠٠ جمع الشاعر فارس بطرس شتات قصائده في ديوان أنيق اسماه (أضواء وأنواء) صدر في الربع الاخير من عام ١٩٨٧ في سان باولو البرازيل عن شركة جريدة المنارة ٠

يقع هذا الديوان القيم في ١٧٠ صفحة من القطع الكبير وقدم له الاديبان الكبيران أسعد زيدان وميشال اليازجي ٠

كتب تحت رسمه في الصفحة الاولى من الديوان اربعة ابيات :

ان غدا ضمني الردى
وحياتي ضمها الليل في سكون مماتي
واستراحت مما لها من شقاء الارض
حملا يذوب طي رفاتي
جنتي أنني أهيم على الدنيا
عبيرا وفي شذا ذكرياتي
وغذاء الورود أنواء بحر
وجمال الدجى فينا النيرات

٠٠ وكان الاهداء :

الى كل من يسعى الى حياة أفضل وأجمل
الى أبناء وطني سواعد البناء والمنتظرين
الى صديقي المفكر الاستاذ باسل فرحات الذي دفع في الفتان الشاعر فازداد تألقا ٠

وجاء في كلمة الاديب أسعد زيدان :

" ان فارس بطرس في شعره بقي أمينا للمبادىء العربية المثالية الاصيلة التي ربي ونشأ

عليها وحملها فكرا وتصرفا عبر حياة هجرته الطويلة نراه دوما ناشدا المثالية الاخلاقية والأخلاقية المثالية - مطعما الفكرة بالقافية الرنانة مزينا الموضوع بالتبر الشعري السلس ٠

وجاءت مقدمة الاديب الكبير ميشال يازجي في احدى عشر صفحة فكانت بمثابة دراسة موضوعية هامة شاملة لأدبه حلل فيها شاعريته الاصيلة ومواهبه المتعددة ، وقال ان قصائد الديوان موزعة بين الشعر ذي الطابع الفلسفي والنزعة الانسانية والحنين والروح القومية والرثاء "٠

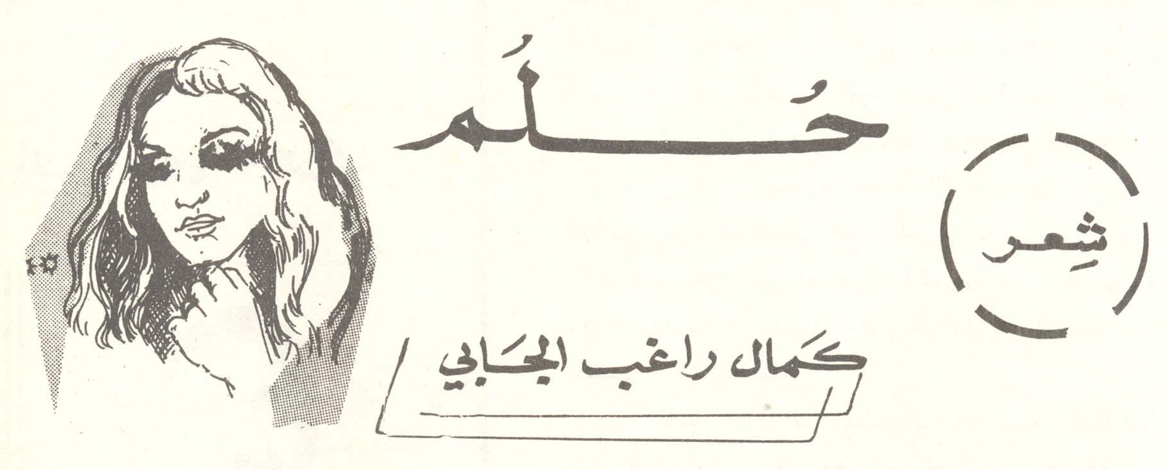
لقد آمن فارس بطرس بالمستقبل المشرق الزاهر للأمة العربية ولم يتسرب اليه اليأس من الانتكاسات التي ألمت بها ٠ فبقيت عزيمته قوية وارادته فولاذية ولم تبارح فكرة قضية فلسطين الجريحة ، فأنشد مفاخرا بالامجاد العربية وحضاراتها العظيمة قائلا :

يا فلسطين يا ابنة الشام
يا أما لمليون يعربي مشرد
قد غزتك الانذال من كل أرض
وبأرض الشاء جيش مهدد
من شباب وقادة تشبه الصاروخ
عزما جيد عنيدا أمرد
أنت من أرضنا منائر أمجاد
لماضي لنا على الغرب تشهد
نحن في الشرق أمة العرب نبني
من دمانا مجدا أصيلا أصيد

..

وهكذا نراه كغيره من شعراء المهجر طرق في قصائده نواحي متعددة وكلها تبرز شاعريته الاصيلة وأفكاره الخصبة وأسلوبه المتجدد وابداعه الخلاق ٠

يوسف عبد الاحد



حُلم

كمال راغب الجابي

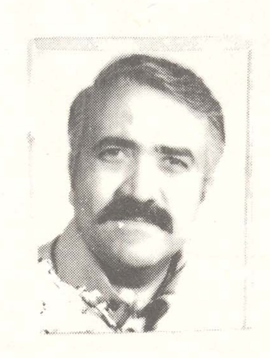
السحر بنظرة عينيك
والأثر النافذ في الأعماق
يشتت فكري ويوزعه
ويسافر بعمري ويؤمله
ويؤجج حلمي ويجمله
يا امرأة رائعة اللمحات

والدفء بجمرة خديك
يبعثرني بين يديك
من رأسك لأخمص قدميك
بالرسو بين ذراعيك
يطلقه فيك وعليك
نجواي منك وإليك

الإشاعة

بقلم الدكتور

هاني يحيى نصري



ان الحوادث الكبرى في تاريخ الامم محجوبة بطبيعة تفاصيلها عن كل فرد من افراد الامة ، لا يصل الانسان العادي منها الا متفرقات يختزلها العرف الشعبي عادة بعبارة واحدة ، غالبا ما تكون ناقصة المضامين ، جبريا على طبيعة التعميم عند العوام الذين لا يهمهم من أعظم حادث تاريخي مهما كان الا نتيجته العملية التي يؤديها والتي تؤثر على الناس مباشرة ٠

خذ مثلا الحدث التاريخي الهام ابان الحرب العالمية الثانية ، والذي يعد عند البيولوجيين أهم من حدث الحرب ذاتها ، إنه اكتشاف المضادات الحيوية ، بكل أصنافها وأنواعها واستطبباتها المختلفة باختلاف الأمراض "الانتانية" التي تصيب الانسان والحيوان أيضا ٠

هذا الحدث وصل الى كل الناس في كافة المعمورة خبره ، وشاع بينهم أن " البنسلين " يشفي كل الحميات ، لذلك راح الناس في استخدامه عند كل مناسبة ٠ وأصبحت كل شكوى مرضية تلاقي وصفتها السريعة بعلاج البنسلين ومشتقاته ، حتى ان الفكاهة الشعبية الشعبية على الاطباء المبتدئين تنعتهم بأطباء التتراسكلين لتكراره في معظم وصفاتهم الدوائية ٠ اشارة الى ان الطبيب العام والاقرب الى عمومية العامي بين مختصي هذا الفرع الدقيق والصعب والمتشعب من فروع المعرفة الفيزيقية - والذي لم يجهد نفسه بتفاصيل المعرفة الطبية المضنية هو طبيب " التتراسكلين " ٠

لقد شاع اثر المضادات الحيوية وفعاليتها ضد الانتانات ، الى حد أنها أصبحت معروفة من حيث نتائجها لدى الجميع ، معرفة تضارع الجهل بالخواص الخاصة لهذه العقاقير ٠ ومع ذلك يدعى كل من قرأ عدة كلمات او حتى سمع عن خواص هذه العقارات معرفته بها ٠

هذه المعرفة المنقوصة للأشياء والاحداث سواء ، تأتي مما يشاع حول أحد من الامور ٠

وهكذا يستطير الخبر بدون خبرة بين الناس ، وعلى اساسه تبنى أحكام الناس العلمية والتاريخية وحتى الدينية والسياسية سواء ٠

وقد جاءت كلمة الشائعة في لغة العرب من الرمي المتفرق ، فشاع الشيء اذا تفوق ، وشاعت القطرة من اللبن في الماء وتشيعت تفرقت (*) ٠

وفي الشائعة معنى التناقل السريع وهو الاستطارة أيضا فإذا شاع الصدع في الزجاجة استطار (٢) ٠ وهكذا تستطير الشائعة بسرعة تشبه سرعة شيوع صدع في زجاجة ٠

حتى أن أعظم الامم ديمقراطية اليوم تلجأ الى الشائعة في سياساتها الداخلية والخارجية عبر ما يسمى بوسائل الاعلام التي راحت تحدد طرقا تقنية ونظريات متنافسة في كيفية اشاعة أمر ما ، من أجل منفعة انتخابية او تقرير سياسة خارجية او داخلية ، لقد كان لا بد من اشاعة عبارة مثل الخطر الاصفر على الشعب الامريكي لحثه على قتال اليابان في الحرب الثانية في الوقت الذي أشاعوا فيه عبارة " التطرف العرقي " Fanatic لمحاربة الالمان ايضا ، ورغم تعارض الاشاعتين لأن الاولى تجعل الحرب حربا عرقية بينما الثانية تجعل الحرب حربا ضد العرقية - ورغم التناقض الشديد بين هاتين الاشاعتين ،خاضت عامة الشعب الامريكي الحرب بهما وبحماس واحد ؟ ٠

الا أن الشائعة الكبرى اليوم ضد كل وسائل الاعلام ، أنها أدوات لصناعة الشائعات ، لذلك شاع أيضا عدم تصديقها ، حتى أن كلمة مثل " كلام جرائد " أو عبارة اتهامية مثل " يثرثر كما لو ابتلع راديو " دفعت معظم الناس الى سماع او مشاهدة المواد الترفيهية في المذياع والتلفزيون ، دون اهتمامات أخرى بما يريد ان يشيع ، فادعى المتفطنون في هذين الجهازين الى امكانية توجيه شائعاتهم من خلال التسلية الموجهة ، وكما راحت الجرائد تفقد قراءها راحت التسلية الموجهة بأي وكزة مباشرة تقابل بالقلب الفوري للقناة ٠ وهكذا زاد الطلب على التسلية وحدها وانخفض مستوى القراء ٠

لكن تفوق الخبر واستطارته ظل كما كان منذ الاف السنين جزءا من الطبيعة الانسانية التي لا تريده ان يكون موجها بل تريده متسما بسمة الايجاز البليغ والسرية ٠ ذلك ان تناقل الاسرار في صياغاتها الموجزة والذي يرجع الى طبيعة الانسان الاساسية في كشف الخبايا وحب المعرفة والحقيقة كما هي - حتى لو لم يقدر العارف عليها كما في مثال البنسلين - مطلب إنساني أساسي ، شعرت به الحضارات الانسانية القديمة منذ فجر التاريخ ، فروجت من خلاله أساطير عظمة حكامها بشكل أذكى بكثير من كل تكرار وسائل اليوم ٠

ففي القرن الثالث قبل الميلاد أي حوالي خمسة ألاف سنة قبل اليوم عاش في بلاد ما بين النهرين ملك اسمه " جلجامش " كما عاش في فترة قريبة منه فرعون مصري اسمه " نب - قور" وكلاهما كان يحكم في فترة سادت بها القوة على الحق ، والبطش على الرحمة والجهل على الحكمة ، والظلم على العدل ٠

ورغم ذلك سخر كلاهما الشائعة لعكس كل هذه الصفات لصالحه من خلال استخدام البلاغة وحب الناس لما يجري في الخفاء ، بأن أذاعا حوادث عدل وامتثال ، في نصوص نقشاها على البردي والصخر ، أصبحتا جزءا من أدب ما بين النهرين والأدب المصري كل على حدة ، وقد شغف الناس بهاتين القصتين، رغم زمانهما المتباين الى حد التداول الذي حفظهما لنا حتى اليوم ، وظلتا شائعتين كضوئين يهديا دارس الفكر الانساني في أنقى صيغة ، الباحثة عن معرفة ما يجب ان يظل سرا على العامة ٠ إلا ان ملحمة " جلجامش " التي أكدت لنا ان هذا الملك لم يكن يترك ولدا لأمه ٠

ولم يكن يترك ابنة لمحارب او فتاة مخطوبة لبطل ولم يكن أحد يضارعه قوة (٣)

افصحت بكل وضوح عن مدى طغيان هذا الحاكم الذي كان على ما يبدو شائعا بين جميع معاصريه ، دون أن يعني هذا انه لن يعود الى جادة الصواب اذا صح له من يمكنه ان يتخذه مثلا وقدوة ليعرف منه الحقيقة المرة ، بأن كل انسان مهما كان طاغيا لابد وان يلاقي الموت ٠ ولكن موته الحقيقي ، في بقاء طغيانه شائعا بين الناس بعد هلاكه ٠ لذلك ينطلق جلجامش للبحث عن سر الخلود او سر الحياة والموت ، فيبحث عن جده الذي يعطيه هذا السر ، ولكنه لصفاته الاساسية المتأصلة فيه فهو (يشبه الثور المتوحش) ولظنه بأن (أسلحته لا تقهر) (٤) يفقد هذا السر الذي أعطاه إياه جده ، مما يستتبع تدخل الالهة التي تحاول اصلاحه لا عقابه ، فتقدم له منافسا اسمه " أنكيدو " ٠

ولكن الالهة تزود هذا المنافس بنفس الحاجة التي زودت بها " جلجامش " ألا وهي الحاجة الى صديق صدوق ٠

فيتصادقا بعد صراع ، ويروحان معا في اكتشاف الوجود عبر رغبتهما القاصرة بالمغامرة ، والتي تنتهي بموت " أنكيدو " فيحاول جلجامش اتمام ما بدأه درسه مع أنكيدو ، فيتنكر "لعشتار" الهة اللذة العابرة حتى لا تحوله الى حيوان لذة عابر ٠

وفي النهاية نجد ان " جلجامش على الرغم من ثلثه الالهي فانه يتصرف كالبشر ، ويناله مصيرهم ، وهذه الالهة بحد ذاتها لم تفرض حلولها بشكل مباشر ، انما عن طريق البشر) * وعن هذا الطريق تؤدب الالهة " جلجامش " الذي يعود الى الحق والعدل المفروضان على كل من يريد الخلود الحقيقي ٠

هكذا أدبت شائعة " أسطورة جلجامش " هذا الملك الذي لم يكن مؤدبا في الواقع ، فشاع عنه انه قد عاد الى جادة الصواب مما أرضى الناس في ذاك الزمن الغابر ٠ وخلد قصة هذا الرضى - غير الواقعي - والعام في الوقت نفسه عموم شيوع هذه الاسطورة ٠

اما " نب قور " المصري القديم فقد وضع الشائعة بيده عن نفسه ، مستغلا حادثة أراد من خلالها ان يشيع انه الممثل الحقيقي للعدل الذي ألهه الفراعنة بعبارة (ماعت)

فأمر بأن تكتب قصة " الفلاح الفصيح " وكان هو الممثل والمخرج والقاضي والمستفيد من شيوع هذه القصة التي ترك هذا الفلاح يصيغ حوارها ٠ وترك التاريخ المصري بعده يعيد تكرارها ، فخلد هذا الفرعون بخلود قصة " الفلاح الفصيح " هذه :

قال المستشرق Breasted في سنة ١٩٢٢م : اشتريت من أحد تجار الاثار بمدينة الاقصر شظية من الحجر الجيري كبيرة الحجم ، سطحها مغطى من الوجهين بالكتابة الهيراطيقية ٠

وقد لاحظ زميلي الدكتور جاردنر بين مالاحظ - عندما عرضتها عيه - ان من بين محتويات كتابتها جملة مقتبسة من قصة " الفلاح الفصيح " مع ان تاريخ كتابة تلك الشظية يرجع حسب مايبدو الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر ق ٠ م ٠ فذلك الاقتباس اذن يدلنا على ان قصة ذلك الفلاح كانت لا تزال ذات قيمة أدبية الى أواخر الدولة الحديثة ٠٠ تدل على ان ذلك الجهاد في سبيل العدالة الاجتماعية قد أدى الى نتيجة ما (٥)

وتدور أحداث قصة الفلاح الفصيح في أيام حكم الاسرة السادسة حوالي عام ٢١٥٠-٢٣٢٣ ق٠م حيث بدأ التفكك الحضاري في مصر بعد انهيار المملكة القديمة ، حيث أصبح المتنفذون شبه مستقلين عن سلطة الفرعون المركزية ، وهكذا فسح المجال لطغيان مراكز القوى ، لكن عدالة الاسر القديمة وحضارتها كانت لا تزال شائعة على أفواه الناس ٠

وفي حكم الفرعون " نب - قور " خلال

هذه الفترة ضاقت الحال بأحد فلاحي الواحات الغربية كغيره من الفلاحين المصريين في ذلك الوقت العصيب الذي أرهقهم فيه حكام المقاطعات بالضرائب والمكوس ، مع تضافر ازدياد الجفاف الطبيعي في الواحات ، وانخفاض مستوى النيل على ضفتيه ، فرحل هذا الفلاح بما لديه من بعض المؤن الى " هيراقلوبوليس " وترك جزءا من مؤنه لأسرته عسى أن يبيع بضاعته هناك ويعود اليهم بشيء من المال ·

هذا الفلاح الذي يدعى " كنانوبس " مر بالحمير التي حملها بضاعته على أرض أحد المتنفذين واسمه " نمتي - ناكت " الذي شاء أن يسلبه بضاعته بدعوى ان حميره قد رعت في مزرعته فضربه وأهانه وأخذ منه كل بضاعته · وقد حاول الفلاح مدة عشرة أيام استجداء " نمتي ناكت " كي يرق له ويعيد اليه بضاعته ، لكنه قال له أخيرا اذا لم تصمت وتغادر سأرسلك الى اله الصمت الازلي ··

فأجابه الفلاح : لقد نهبتني اولا ثم ضربتني والان تمنعني حتى من المؤن · انك لا تستطيع ان تمنعني من الدعاء للاله " ماعت " اله العدل كي يأخذ حقي منك · وهكذا توجه الى " هيراقلوبوليس " ليشكوا حاله الى " وكيل الخراج " حيث دله الناس على رجل اسمه "رنسي" كان بصحبة بعض القضاة يحاول ان يعبر النيل الى قصر العدل · ولما كلمه بأمره طلب وكيل الخراج من أحد كتابه ان يجلس مع كنانوبس " ليكتب له تفاصيل شكواه ولكن بعض القضاة اعترضوا عليه بأن عليه ان لا يعاقب مسؤولا كبيرا من اجل فلاح حقير · وفي اليوم التالي وقف الفلاح بين يدي " وكيل الخراج " قائلا : أيها العظيم أنك حين تبحر في بحر العدل ستلاقي رياحا لن تقلع او تقصف صاري مركبك ، لان الحق هو الذي سيتكفل باعادتك الى شاطئ الامان ، لأنك ابو الايتام وراعي الارامل ، وأخا لكل معتاز وانك السيد الذي يسمع للمقهورين ، فاسمع تظلمي ، واشفي حزني وانصفني ·

دهش " رنسي " من بلاغة هذا الفلاح فوعده بسماع كامل قصته وتظلمه في القصر غدا وذهب الى الفرعون " نب قور " وأخبره بأنه قد اكتشف فلاحا لا يقرأ ولا يكتب ولكنه على درجة فائقة من البلاغة وقد نهبه احد المسؤولين وغصب بضاعته ·

ولأن " نب قور " كان رجلا عاقلا ، اراد ان يجعل من هذه الواقعة عظة تشاع عن مدى عدله ، لذلك طلب من وكيل خراجه ان لا يتكلم حين سماع تظلم " كنانوبس " وان يخفي وراء الستارة كاتبا يكتب كل مايقول ، كما طلب ان يصرف مالا لأهل هذا الفلاح طيلة مدة مرافعته ، وهكذا دارت الجلسات طوالا ، و " كنانوبس " يعرض مشكلة العدالة في مصر في تلك الحقبة بأدب بليغ وعبارات رشيقة غدت جزءا هاما من الادب المصري القديم · بها كل آمال ذاك الشعب بملك عادل أراد " كنانوبس " ان تكون في الفرعون " نب قور " كمخلص طال انتظار قدومه ·

وفي كل مرة كان الفلاح يترافع فيها ولا يلقى الا الصمت يزيد من طلاوة حديثه ، وبلاغة عباراته ، ويأسه المزوج بالرجاء ، والكاتب خلف الستارة يكتب كل مايقول ، وأخيرا بعد ان طال عدم رد وكيل الخراج على الفلاح قال الفلاح :

إن الذي كان يسمع أصبح الان أصم ، وأنا أتكلم منذ تسعة أيام ولا ألقى أي رد ، فلم يبق لي الا ان اشتكي الى الالهة ·

ونهض ليغادر لكن " رنسي " أمر باحضاره ، فأدرك " كنانوبس " انه سيعاقب فقال بثبات : ان الموت كشربة ماء عذب لرجل عطش في مثل هذا الموقف · ووقف رابط الجأش ·

عندها أحضر المسؤول " نمتي - ناكت " وضرب حتى اعترف بذنبه ولم يجد الفلاح نفسه الا

أمام الفرعون يقبل الارض بين قدميه ، ليعيد اليه كل حقه ، ثم يعود الى واحته معززا مكرما ، وكل مصر قد علمت بقصته (٦)

وهكذا شاعت قصة الفلاح الفصيح في الادب والفكر المصري حوالي الفين من السنين ، كاطول شائعة عرفها التاريخ الانساني على الاطلاق كما وصفها لنا " برستد " فيما ذكرنا سابقا ، وكان الفضل في ذلك الى ذكاء ذاك الفرعون المصري " نب قور " الذي سخر هذه الحادثة ليشيع امام الشعب المصري القديم امر اهتمامه بالعدل فنجح في ذلك ايما نجاح ٠

هكذا رأينا ان نقرر ان الشائعة لا تحتاج الى وسائل لاعلامها بقدر ما تحتاج الى وقائع ، ولا بد لها من ان ترتكز على رغبة السرية التي تجاوز اثنين من الناس ، حتى لأكاد أن أرى في معظم التاريخ الاجتماعي للناس مجرد جماع شائعات ٠ حقيقة يجب ان يدركها كل من يريد ان يصبح جزءا من تاريخ أمته ٠

د هاني يحيى نصري

هوامش

(١) ابن منظور ، لسان العرب " شيع "

(٢)) المرجع السابق " شيع "

(٣) قاسم المقداد ، هندسة المعنى في جلجامش دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق ، ١٩٨٤م ص ٨٩

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٩

(٥) المرجع السابق ، ص ١٧٣

(٦) جيمس برستد ، فجر الضمير ، مكتبة مصر، عام ؟ ص ٢٢١-٢٢٢

(Geraldene Harris Gods and Pharaohs Perer Lowe Italy PP 60 -62)

زهير المارديني ..
الصحافة والوفاء

بقلم
منذر موصلي

أجل .. لقد ارتحل وغاب زهير المارديني استله الموت كعادته البشعة مع الناس ، وهو الصديق والكاتب والمؤلف .. الصحافي الغزير الانتاج صاحب القلم الرشيق والديباجة الجذلة .

كتب المارديني في الصحافة محترفا وهاويا في آن معا ، وكتب في السياسة والادب والتاريخ وتراجم الاصدقاء والمجلين في بلدنا من كتاب وشعراء وسياسيين وصحافيين . وعرفناه كثير الوفاء للراحلين من أصحابه وأصدقائه ، ولقد عرفته منذ نيف واربعين عاما أي عندما كان " مقهى البرازيل " هو الملتقى والندوة اليومية والاسبوعية لنفر من الشبان ابناء دمشق على اختلاف ثقافاتهم ، وانتماءاتهم السياسية والاجتماعية . وكان المارديني من الوجوه المتألقة المعروفة بين رواده الدائمين . حلو المعشر ، سريع البديهة ، والنكتة ، خفيف الظل ، يحفظ الشعر المنتقى لمختلف الشعراء ويحسن ترديده في اللحظة المناسبة ، كما اختزن في ذاكرته الكثير من الحكايا الفكرية ليستشهد بها كلما اقتضى الحال في الحديث او النقاش لا سيما السياسي منه ، ولم يكن أحلى ولا أشهى من التعاطي السياسي في ذلك المقهى الشهير الذي ماكانت أحاديث رواده وخلانه تتعدى السياسة والنقد السياسي وفبركة التعليقات اللاذعة والحكايات السياسية الفكهة التي سرعان ما تنطلق من ذلك المطبخ السياسي الشهير فيتناقلها الناس وتقتبسها الصحافة المعارضة .

وكان ذلك المقهى الفريد ، يقع في مواجهة مقهى الهافانا في شارع الصالحية ، واطلق عليه الرئيس شكري القوتلي بحق اسم " الجاروشة " ويعني بذلك الطاحونة الحجرية .

وفي تلك الايام لم يكن سهلا على أي من الناس ارتياد مقهى البرازيل لان هناك صفات وسمات لا بد من توفرها فيمن يرغب الدوام فيه او التردد عليه .

كان لا بد مثلا من اكتساب ثقة رواده . ولعل أهم الشروط المطلوبة الاخرى هو التحلي

بشيء من الثقافة والظرف ، وما لم تكن متوفرة يصبح الشرط هو ان يصمت ويكتفي بالاستماع ، أما الشرط الاخر والمعتمد اكثر فهو ان يكون الوافد الجديد أقرب الى المعارضة السياسية منه الى الولاء او الموالاة للحكم .. المعارضة فحسب لأنه لم يكن مطلوبا الا ان تكون معارضا ، ولكن ليس للحكومة القائمة وحدها بل لكل حكومة قادمة ايضا . فالمعارضة هي للمعارضة والمشاكسة لا لشيء آخر البتة .. ولم تكن المعارضة تعني عندهم أكثر من التشنيع على أهل الحكم وفبركة القصص واختلاق الفضائح . وهي اشياء برع فيها رواد مقهى البرازيل الذائع الصيت .

وكان المارديني عضوا دائما في تلك المعارضة ومن المجلين المعدودين في فبركة القفشات السياسية ، ولطالما شارك في المنافسة الحادة بين أساطينها امثال ضياء الحكيم وسعيد الجزائري وعبد المطلب الامين وعابدين حمادة وعبد الرزاق كرد علي رحمهم الله جميعا وأمد الله في عمر من بقي منهم على قيد الحياة وخاصة الصديق غسان الالشي اشهر وأقدر أعضاء المجموعة وأصغرهم سنا وأخفهم دما .

اشتهر المارديني اذن كواحد من أبرز أصحاب القفشات والنكات السياسية الدارجة اللاذعة وترديد الحكايا الهادفة الناقدة والكتابة في الصحافة على نفس الوتيرة والاسلوب .. ومن المعلوم ان المغالاة في هذه الطريق والتمسك بها تقرب المسافة الى السجن والاعتقال . وهذا ماجعل المارديني يذوق من هذا المذاق المر ، وهو ما قاده فيما بعد الى النزوح والاغتراب لمدة طويلة قبل أن يؤوب الى البلاد قبل بضع سنوات لينعم بالعيش في بلده وبين أهله وأصدقائه الى أن وافته المنية في ٢٤ من شهر شباط الماضي أثر أزمة قلبية حادة .

كان يحدثنا دائما عن دمشق ويستعيد قصص مقهاها الشهير فيتحسر ويتأوه على ذكراه وذكرى الاحباب الراحلين . ولقد غاب المقهى تحت معاول الهدم من أجل تعريض الشارع وتجميله ثم لم يشأ أصحابه اعادة بنائه ، لأن المقاهي أصبحت مكلفة باهظة التكاليف ومالم يعد ذلك المقهى الى نفس حجمه ودوره ومكانه ومكانته فقد أصبح صعبا الاستمرار فيه ، لذلك فضلوا التخلي عنه وحرمان دمشق من امتع مقهى وأحلى ندوة في تاريخها الحديث .

كان الماريني وفيا لأصدقائه فتراه يسارع الى الكتابة في رثائهم حبا ووفاء ولعل آخر ما كتبه عن صديقنا الراحل عبد الرزاق كرد علي قبل سنة ونيف . وأحسب انه كان لابد سيكتب عني لو رحلت قبله ، وها أنذا أفعل ما أجده واجبا تجاه صديق عزيز كنت أصادفه أينما توجهت أو قصدت ومن ثم حسبت دائما بأنني لن ألقاه ثانية ، لذلك تواصلت صداقتنا وبلا انقطاع رغم اختلاف المشارب والقناعات الفكرية والسياسية والعقائدية . كان يجمعنا شيء واحد هو الالفة وذكريات الشباب ومحبة دمشق وما تمثله دمشق لانسانها المتيم المعذب بحبها والولاء لها ولتاريخها واهلها واصلها واصالتها .

عمل الماريني رحمه الله في الصحافة منذ ترك الدراسة ليعول اسرة كبيرة خلفها له الوالد في وقت مبكر . واصبحت الصحافة هاجسه وحبه ومورد حياته وعماد رزقه قبل أن يتركها ليقصر همه على التأليف واصدار الكتب في مختلف الموضوعات . لقد ترك الصحافة قبل أكثر من عشر سنوات لكنه لم يترك الكتابة وتفرغ للعمل في اتحاد المصارف العربية ببيروت ثم اضطر للتقاعد اثر اصابته بأزمة قلبية خلال زيارة مهنية للسودان ، فعاد الى دمشق ودأب على الكتابة في احدى اعرق الصحف وأقدمها " مجلة الثقافة " وكان يقول لي : " أنني اشعر مع هذه المجلة وكأنني أعمل قبل ربع قرن وأجد في الصديق العزيز مدحة عكاش صورة الماضي الجميل " ولا عجب في ذلك لأن أبا عاصم كان أيضا " برازيليا " عريقا ومن وجوه ذلك المقهى العتيد منذ أيام الجامعة وعندما كنا ما نكاد نغادر كلية الحقوق

الا ونسارع الى المقهى لنستزيد دراية بالحياة ٠

أول عمل للاستاذ الماردينى في مطلع حياته الصحافية كان في جريدة " اليقظة " التي أصدرها الاستاذ اكرم الحوراني لفترة قصيرة في منتصف الاربعينات وحرر في صحف أخرى قبل أن يتفرغ لادارة مكتب جريدة " الجمهورية " المصرية التي صدرت في بدايات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعندما كان رئيس تحريرها انور السادات واتخذ لها مكتبا في شارع الفردوس أصبح ندوة يومية لمعظم زملائه وأصدقائه ٠ وتولى بعد ذلك ادارة مكتب مجلة " الاسبوع العربي " اللبنانية ومراسلتها اسبوعيا ٠ وكان آخر عمل شغله في الصحافة اليومية هو رئاسة تحرير جريدة " صدى لبنان " في بيروت وهي جريدة الاستاذ محمد البعلبكي نقيب الصحافة اللبنانية ٠ ثم تفرغ للكتابة والتأليف ، فأصدر عدة مؤلفات هامة تناول فيها مواضيع شتى ٠ كتب عن أديب العربية وأحد أسافينها الكبار عباس محمود العقاد ووضع كتابا عن بيرم التونسي ، ونشر في جريدة " الدستور" الاردنية سلسلة من الابحاث السياسية والتاريخية اعطاها اسما غريبا وواقعيا " وحدة الانفصال " تحدث فيها عن فترة الوحدة السورية المصرية وعهد الانفصال وكان يتهيأ لجمعها في كتاب جديد ٠

ومن أشهر مؤلفاته : " اللدودان ، الوفد والاخوان " تحدث فيه عن فترة هامة من تاريخ مصر الحديث ، وترك كتابين في موضوع واحد اختار لهما اسم " عشرة من الناس " تحدث في كل منهما عن عشرة من الاشخاص انتقاهم من السياسيين والادباء المشهورين لا سيما في سوريا ولبنان ٠ وهو من جيد الكتب التي صدرت خلال السنوات الاخيرة ٠

على ان اشهر كتبه وأبعدها صيتا هو كتاب " الاستاذ " وقد ضمنه سيرة وحياة الاستاذ ميشيل عفلق ٠ ومن كتبه الهامة التي اتسمت بسلامة العرض والتحليل " الثورة الايرانية بين الواقع والاسطورة " وكان رحمه الله يزمع اعادة طبعه ٠ كما ترك مخطوطا لكتاب عن الجاسوس كوهين وأحسب أن أهم كتبه كان عن حياة وجهاد الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين اصدره منذ عشر سنوات - وترك كتابا قيد الطبع سيصدر له قريبا عن حياة وشعر بدوي الجبل يشرف على تدقيقه وطبعه الشاعر المعروف الاستاذ محمد كامل الصالح الى جانب كتاب آخر عن الشاعر محمد الديب ٠ وسبق أن وضع كتابين عن شاعرين كبيرين من خلص أصدقائه الراحلين وهما احمد الصافي النجفي وعبد المطلب الامين ٠

كتب أكرم زعيتر معبرا عن رأيه في كتاب الماردينى " عشرة من الناس " فقال " انها لرشاقة في الاسلوب تشد القارىء الى الكاتب ، انها الطرافة في السرد مع الحرارة في العرض ، وكأني بك تتحدى من يأتلف معك او يختلف ان يعرض عن قراءتك اذا استطاع ، أو أن يزهد في مطالعتك اذا قدر ٠٠

وكتب الكاتب يوسف ابراهيم يزبك يقول : " وبعد يا أبا محمد فتقبل شكري وتقديري ومحبتي ، وبارك الله لك بثلاث أغلى من كنوز الارض جميعا : تربية أمك ، ومروءتك العربية ، وصدق الاسلام الصحيح في يقينك يا أخي وصديقي

وكتب عجاج نويهض : " لو كنت من ملوك الزيت لسلخت الماردينى من الصحافة وسلحته بجهاز واف وقلت له اعد كتابة التاريخ العربي "

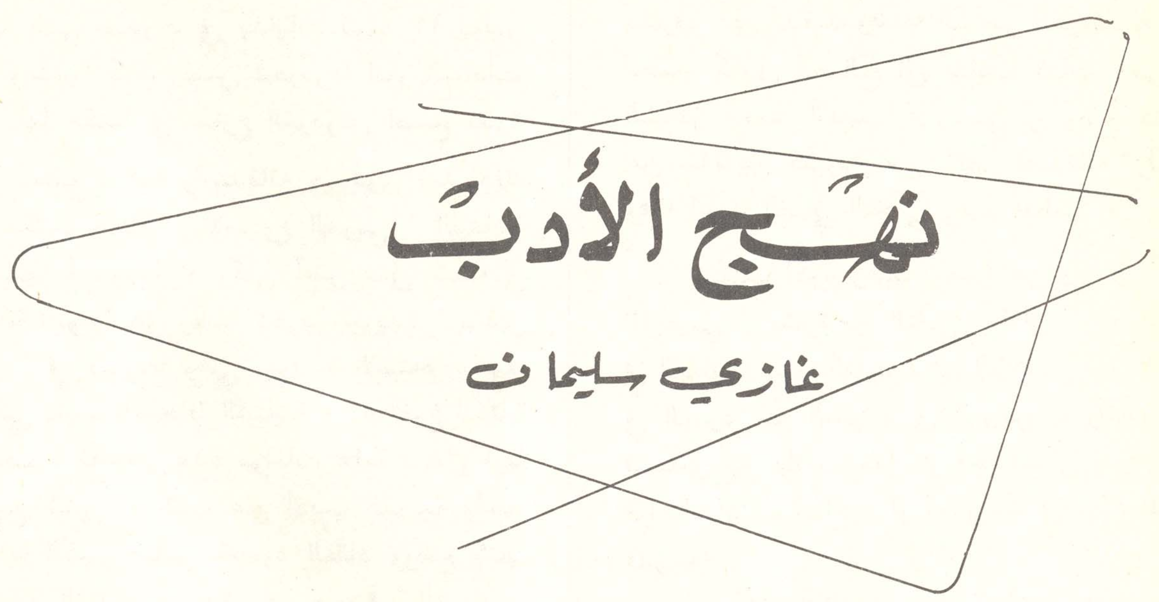
وكتب فيه وديع فلسطين من مصر : " نحن يا أخي على موعد مع كتبك فمتى يا صاحبي يكون موعدنا مع كتاب جديد تنصف فيه الاحياء من الاحياء ، والموتى من جور الاحياء ؟ فقد أحببت أمتنا العربية في ربع القرن الاخير بما يشغل كيانها (بولسطه شندل صعيدية معناها قلب وبدل قيمتها ومسخ تاريخها وزيف حقائقها (وسخط وجهها) ناهيك بالهزائم التي دحرجتنا الى قعر الدنيا وحضيض حضيضها ، وأنت وأمثالك موكلون ان تعيدوا كتابة التاريخ الذي أفسدته

البربريات والعنتريات والديكتاتوريات " .

وكتب حسن الامين يقول : " ان الذي يقرأ في كتبك عن ثورة ايران وعن اللدودان الوفد والاخوان " وغيرهما من كتبك السابقة يحسب انك خلقت لتكون المؤرخ السياسي لأحداث البلاد العربية والاسلامية ، وان هذا الميدان وحده هو ميدانك الذي تبدع فيه كل الابداع " .

ففي ذمة الله يا أخي زهير صديقا ، وكاتبا ، مرموقا .

منذر موصلي



نهج الأدب

غازي سليمان

يا عابرا درب الحياة بلا أدب ... في دورة الايام مفتاح العجب

تلهو وورع العمر أرداه الونى ... والخطب صاح في مراعيه انتصب

هلا جهلت الوعظ من كيد الورى ... فتلاشت الأنوار والصبح انحجب

ما خلت في نهج الصفاء عواقبا ... تزري بمن للسالكين قد انتسب

فقصدت ربان السفينة راجيا ... درب النجاة لمستغيث عن كثب

وترقب الملهوف نصرة ساعد ... فتناثر البنيان واعتل النسب

مارست ألف شريعة كي أتقي ... مزق الخطوب بإنفة لم تستجب

فقطفت من فيض التجارب حكمة ... موهوبة في دارها نهج الأدب

كفكف ولا تأسف لما فيه الندم ... واحذر مسالك غادر يوري اللهب

وادفن بصدر الروح أسرار الحشا ... فالبوح للأبدان داء مرتقب

يا وارادا جحر الثعالب في الدجى ... ذئب الغضا شر الوساوس إن خطب

فاسلك شعاب الرشد تمنحك الرضى ... إن الرضا ثمر لواحات الأدب

بيان أبي علي

شعر : عدنان قيطاز

هذا بيان أبي علي   وحي تنزل من عل

ينسى الشجي همومه   فيه .. ويلتذ الخلي

في كل حرف بوح ساجـ   ـعة .. وهمسة جدول

في كل بيت صورة   تبدو لعين المجتلي

وكأنما من خمرة   ألفاظه أو سلسل

متخطرات بالسنا   والعطر عطر المندل

القاصرات الطرف مثـ   ـل عرائس في محفل

مخضلة القسمات تسـ   ـخر من سهام العذل

أو .. لا .. هي الوشي   المنمنم فوق طرس مخملي

عبق كأنفاس الحبيب   يقول : شم .. وقبل

لله شعرك ما أحب   على الفؤاد إذا تلي

شعر هو السحر الحلال   مذوب في المقول

شعر ارق من الصبابة   في فم المتبتل

شعر هو النسق الرفيع   من الطراز الأول

فيه أفانين القديم   على الجديد تلوح لي

طوقت جيدي من حلاه   بمجمل ومفصل

فسكرت من طرب   وطرت على جناحي أجدل

أثني على " الحسن بن هاني"   في مسوح الأخطل

*** **

تيهي " سلمية " .. أنت   أخت الشمس . بالنور الجلي

بالمبدعين الساطعين   الفاضلين الكمل

بالفلسفات تفتقت   والليل لما ينجل

بالشعر تسبكه القرائح دمية في هيكل
علقت بسلطان الجمال وحلقت للأجمل
كم شاعر دنف .. ودم من فارس متغزل
من مثل " ديك الجن " في ليل الهوى .. وابي علي

العاشقان .. كلاهما من وجده في مرجل
السارقان النوم من جفن المهاة الأكحل
كم غنيا .. فتألقت بيد .. وكم صدحت حلي
وهما هما من أغرياني بالشراب المذهل
من ألف عام .. أو يزيد أصابني في مقتلي
لولا " سلمية " لم أقف يوما بدارة جلجل
ساجلتها قدما .. وكنت من الصبا في جحفل
ونهدت بعد الخمس والخمسين يرعش مفصلي
زوادتي نفذت .. وجامي لم يعد بالممتلي
وصحابتي الأغلون .. لا هانوا .. غدوا في معزل
لا وردوا المنية ظامئين الى كريم المنهل
وبقيت بعدهمو أطوح خابطا في مجهل
فلتعذرن على الكهولة جفوتي وتململي
أنا ما نسيت عهودها أبدا .. ولم أتبدل
هي في دمي دنيا هوى ومنى .. ولما تذبل

*****

يا شاعر الاحلام أطربنا .. وزد .. لا تبخل
غرد لنا بين الرياض .. وطر بنا .. وتنقل
واحمل لنا من جنة الالهام أطيب مأكل
نحن الزغاليل الصغار .. وأنت رب المنزل

مهرجان سلمية الخامس ٢٢-٤-١٩٩٢

فارس القلم

شعر: جابر خيربك

في كعبة الشعر في المحراب والحرم
أتيت أسكب عطر الحرف من قلمي
ورنحتني القوافي فانتشيت بما
صب الإله بكأس الشعر من نعم
لملمت من كل دوح زهو فتنته
ورحت أنشرها في السهل والعلم
هيأت قبل طلوع الفجر راحلتي
وسرت يسبق قلبي خطوة القدم
كم طاف رسم أحبائي بذاكرتي
وردني البعد لكن خفت من ندمي
فجئت أقطف من أندى شمائلهم
ما طاب من شرف سام ومن قيم
هنا الأحبة ما زالوا كعهدهم
صيدا تساموا بحب الشعر والكرم
من مغرب الوطن الغالي حملت لهم
بين الجفون وفاء البحر والقمم
وحملتني عذارى الشط قبلتها
لشاعر فتن الدنيا بسحر فم
فكم تغنت بأبيات له وشكت
بعد الحبيب برغم الشيب والهرم
وساءلتني إذا ما كنت أعرفه
هذا الذي هام بالأكواخ والخيم

بحثا عن الحب ، عن حسناء فاتنة

يسعى إليها ولو كانت بذي سلم

كل النهود إذا ارتجت تتيمه

كما تتيم ذئب البيد بالغنم

عرائس البحر رغم البعد ما علقت

إلا بأشراك هذا القانص الفهم

وكم لمحت بعينيها وفتنتها

شوقا إليك ، الى ينبوعك الشبم

سرحت خلف ظنوني عندما سألت

عن شاعر عاش يجني الحسن في نهم

لكن ·· وحبك لما افتر مبسمها

أيقنت أنك ضمن الشك والتهم

** ** ** **

يا شاعرا عاش والأيام شاهدة

على تفانيه رغم الأين والسقم

أعطى وقدم ما أغنى الجمال رؤى

من فيض شعر بسحر الحرف منسجم

كم ليلة راح يسعى في دياجرها

يساهر البدر لا يشكو من السأم

يلملم الشعر من أصداء وحدته

وينتقي أترف الأبيات والنغم

من أنجم الليل وشى كل قافية

وزين الشعر من باقاتها الحرم

ومن رمال الفيافي السمر كحله

بالسحر والحب والإيثار والشيم

حاك المعاني ونقاها ووشحها

ومن لمى الغيد ذكاها ولحنها

على اهتزاز نهود طفن في الحلم

أغوى الصبايا اللواتي رددت ترفا

أطياب ما سمعت من " فارس القلم "

«لاء الجميلة معناها إذا ابتسمت

بعد التأفف والاعراض كالنَّعَمِ»

يا شاعري ومآسي الشعر تثقلنا

وكلنا ضاع بين الشك والعَدَمِ

قالوا : الحداثة ٠٠ قلنا : نعمة نزلت

تهذب الأدب الآتي من القِدَمِ

وتكتب الشعر مزهوا بحلته

وتنتقي أعذب الألحان والكَلِمِ

لكن سمعنا بشعر لسنا نألفه

ومنطق ضاع بين العرب والعَجَمِ

وزيفوا قيم الفصحى ورونقها

وحاربوا رنة الألحان بالصَّمَمِ

داسوا الأصالة واحتالوا على لغة

كانت لكل لغات الأرض كالعَلَمِ

فالوزن واللحن من أسمى الكنوز بها

فكيف نتركها لحما على وضمِ

** ** ** ** **

يا شاعري إن تولى العمر وانطفأت

هذي الشموع وعاث الشيب في اللمم

ومر زهو الشباب الغض وانفرطت

لآلىء العقد في داج من الظلم

فالمرء يحيا ويبقى بعد غربته
لحنا على شفة التاريخ والأمم
إذا تبقى له بيت يخلده
من جيد الشعر أو من روعة الحكم
فكيف تخشى وقد زينت مفرقها
بألف بيت سرى كالعطر في الأكم
لونت خد المعاني المشرقات سنا
كما تلون وجه الأرض بالديم

ديباجة الشعر كم كحلت فتنتها
بالسحر والعطر والاحساس والألم
سالت على الشفة اللمياء خمرتها
فأسكرت من حميا الشعر كل ظمى
تركت للجيل ميراثا يعود له
أهل البلاغة والابداع والشمم
للشعر أهلوه مهما زاودت فئة
هم الملوك وما كانوا من الخدم
خطوا بسفر الليالي من روائعهم
ملاحما لم تزل كالشهب في السدم
وركزوا في ذرى الجوزاء رايتهم
ولم يناموا على الأحقاد والضيم
أما الذين اعتدوا ظلما وزندقة
على التراث وباعوا الله بالصنم
سيلعقون دماء الكفر نازفة
يوم الحساب ويسري السم في الدسم
فقر عينا فقد أديت ما طلبت
منك القوافي فلا تخش من الندم

تقضي النسور إذا حانت منيتها
على الذرى الشم لا في ملعب الرخم

وقفة مع الذات

غانم الصارمي - صافيتا

استرسلت أحلامي في الرؤى الصباحية
بعد أن أمضيت الليل قلقا أعد النجوم
ولفحتني النسائم الباردة وأنا أجلس
على حافة البحر أرقب حركات السفن الآتية
من وراء الأفق البعيد تمخر عباب الأمواج
بكبرياء وشموخ
وعاندتني الذاكرة لأقف على حقيقة ذاتي واسرح
بخيالي
في حقول الخصب المتدلاة العناقيد في جدران
المحبة
المرتكزة دعائمها على مسارح الحياة
وأيقظتني رعشة وجدانية من ثباتي العميق لأسرع
الخطوات
المتزنة وأستحم بدفء الشمس حاسر الرأس
ليستفيق
النغم الأبدي مرددا قيثاره الناعم
ليوقظ اغفاءة الكون السرمدي
وسرى الرعب في داخلي
وأنا أقف على حدود الزمن
أفتش عن نفسي في قرارة نفسي
فلن أجد نفسي
وخططت في دفتر مذكراتي عربدة أنفاسي المتقطعة
منها أن الأيام تمر مسرعة تأكل كل شيء
كما تأكل النار الهشيم حيث لا بقاء ولا ارتقاء
ولن اجد غير البؤس والشقاء

سبحانك اللهم

شعر: عبد الحميد علي

أعبير روضك والنغيم المسكر ... أم سحر ما فعل الغرير الأحور

المسكران هما فأي منهما ... أصفا وأشهى للمنى (يا أنور)

ما بين سحرهما ولمح رؤاهما ... دنيا تموج ونبعة تتفجر

غرق الخيال بذوب عطرهما شدا ... في الضفتين فأين أين المعبر

أعيا شوارده الطواف بعالم ... رحب يطاوله الزمان فيقصر

خلع التقى رغم القداسة عبقر ... وحنا بظل علاهما يتحضر

المسكران هما وكل خريدة ... غناء في نعماهما تتنضر

أغوى الفتون جمالها فتمايست ... بالزهو ترفل بالدلال وتخطر

ذابت على أزهار روضك قبلة ... حرى فوهجها الربيع الأخضر

سكرت فأسكرت الشذى فغويها ... نهد وحسبي العاطر المتعطر

ويلي وويلك يا شقي بعقله ... (فأخو الجهالة في الشقاوة يفخر)

لولا سلاف الشعر ما غسل الدجى ... بالعبقرية كاعبان ومعصر

ألحب جل الحب من آلائه ... لعس الشفاه وعطرها والكوثر

الحب أبدعنا على ألوانه ... فإذا العلى من كرمنا والعنبر

والخافقان شعاع ومضة شاعر ... وهج الضحى من عطرها يتحدر

وحدائق الأجيال من إبداعنا ... شاد يغنيها وآخر ينفر

نحن الألى حملوا الحياة همومها ... وزهت بهم رغم الليالي الأعصر

وعلى الهموم العاطرات يعيبنا ... من بالعلى وهمومها لا يشعر

نحن السريرة للعلى وعطورها ... من كل ساطعة أعز وأنضر

فلقد سقينا الصحصحان على الثرى ... دمعا فدلله الرحيق المسكر

وحنا يهدهدنا الرضى وكؤوسنا ظمأى وجوهرها المبين المسفر
يا خالق الدنيا جمالا مورقا الخلق ملكك والنعيم الأكبر
ذابت سرائرنا نديات على كفيك فانفجر الصباح الأشقر
فرسمت في ألوانها صور العلى فتنيسنت بالنعميات الأشهر
سبحانك اللهم غيبك مشرق فينا ووجهك مبدع ومصور
نحن ربيعك يا ربيع وسرنا سحر الخلود وحسنه والجوهر
ولنا الشباب وان غفا نيسانه او راح يرهقه الخريف الأصفر
لولا شمائلنا اللدان لما زكا عطر ولا اغتبط الغرير المقمر
(ياشاعري) وندي مجدك حافل بالنيرات وثغر صبحك أنور
ووسيم دوحك بالمتارف مزهر وحفيف روضك بالظلال معطر
وبكل شاردة خيالك ثاقب فمصور ومعبر ومؤثر
وأصالة الأدب اللباب عقيدة في أصغريك وجذوة لا تفتر
فلقد عرفت الشعر شعرا واحدا إن كان غيرك للعلى يتنكر
لا المجد مجد المارقين ولا بهم حفل البيان ولا الربيع الممطر
الشعر فيض الله جل جلاله ومن الحقيقة منذر ومبشر
تتألق الدنيا حضارات على ألوان نعمة روضه والأعصر
يا وحشة لفت برهبتها العلى لولا كؤوس ندية والمعشر
إرث أذبت بهمه نزق الصبا وعلى مشيبك مجد همك يكبر
ومن الغريب على الضحى إن لم تكن فينا الغريب وأنت فينا الأجدر
ألق الأصالة في رؤاك فكيف لا يقلو أصالتك الهجين الابتر
في كل بيت من قصيدك عالم يزكو وفجر عبقري يبهر
وبكل حرف جمرة لم يستقم إلا بوارفها الرطيب المثمر
تلك الغرائر قد أتين قصائدا مجلوة وبألف لون تسفر
من كل ساحرة وتحلف أنها قطع النجوم على الربى لا أسطر
صور ملونة ويترفها على مر العصور جديدها والمصدر
عربية سمراء يرشفها الضحى عطرا فيحترق العشيق الأسمر
إني لمحت على رؤى قسماتها طيف الكتابة فالعلى أستغفر

إن كان يوحشها الضياع (فمدحة   للضاد والأدب المعطر عبقر

واذا شكت غرر الفصاحة منبرا   فكل حرف في (الثقافة) منبر

وعلى حضارات العروبة (حافظ)   يحنو بخافقه وعين تسهر

قدر العظيم رسالة فعلى على   أقداسها هول العظائم يصغر

لا خوف ينتاب العروبة طالما   في ساحها (أسد) العروبة يزأر

إن الحياة هي الحياة لكل من   يا شاعري في عقله يتبصر

إني أتيت اليك يحملني الشذى   هيمان يؤنسني الوفاء الأطهر

فحملت في قلبي اضاميم الربى   زهرا يزينه العقيق الأحمر

وملاعب الموج الغوي وناهدا   بطرا يدغدغه الغوي المبحر

إن كنت في شأو الخيال مقصرا   فأنا الضمين بأن حبك أكبر

والعذر من شيم الكرام وما أنا   إلا بناديك المعطر أعذر



معد الراهب : سمير اميس

أباة الضيم

شعر: فوّاز بشور

أباة الضيم يحمون الديارا
إذا باغ عتا يوما وجارا

صهيل خيولهم في الساح رعد
يهز الشم يبتلع البحارا

فترتجف السفين ومن عليها
ويهلع من غزا ارضا وطارا

يصب الهول من نيران حقد
خبا زمنا يسيرا ثم ثارا

وسيف الثأر إن سلوه برق
يهد عروش حيف قد توارى

وراء مدافع ومصفحات
قنابلها ترش الويل نارا

فيخلع ثوبه الداجي ظلام
وحالك ليله يبدو نهارا

ويحرق عاجز ويموت شيخ
ويقتل يافع طلب الفرارا

ويلتهم السعير صراخ طفل
ويفطر لوعة قلب العذارى

أباة الضيم يحمون الديار
إذا باغ عتا يوما وجارا

صهيل خيولهم في الساح رعد

يهز الشم يبتلع البحارا

إله الشر ناصبنا عداء

وسلط شعبه فسطا وغارا

وعاث بقدسنا المذبوح رجسا

وألحق بالسراة الصيد عارا

رباع عروبتي هاجت وماجت

صوارم أسدها ازورت نفارا

أيرفع عازل رايات حق

ونفرح بالاثيم أخا وجارا

ألا والله لن نرضى بذل

ولن نعنو لمن حابى وداري

أباة الضيم يحمون الديارا

إذا طاغ طغا يوما وجارا

صهيل خيولهم في الساح رعد

يهز الشم يبتلع البحارا

ومنكم يا رفاق الدرب نرجو

ملاحم ثورة تزكي الأوارا

ولم نقبل بشعر سار خبا

على درب الخنا يبغي انتحارا

فصدوا السمع عن فتيان قوم

لهوا بالقول أو صادوا المحارا

أهانوا الدر في هجو ومدح

وعدوا خيبة الأمل انتصارا

أباة الضيم يحمون الديارا

إذا باغ بغا يوما وجارا

صهيل خيولهم في الساح رعد
يهز الشم يبتلع البحارا
بغاث الطير تحدوها بغاث
نفضن الريش تيها وافتخارا
تحدوا سربها بجناح نسر
إلى وطن السنا رغب السفارا
نسور الشعر هاتوه رماحا
يطاعن باطلا رفض الحوارا

وينصر في الوغى أحرار أرض
رموا للموت قيدا أو إسارا
ويلمس جرحهم بالطيب دوما
ويلبس هامهم عزا وغارا
ويخشع لاثما جدثا طواهم
فقبر شهيدهم أضحى مزارا
أباة الضيم يحمون الديارا
اذا باغ عتا يوما وجارا
صهيل خيولهم في الساح رعد
يهز الشم يبتلع البحارا
يبارك قادة رفضت رؤاهم
رخيص الجاه أو مجدا معارا
شعارهم المنية والتصدي
لمن خان الحمى باع الديارا
أباة الضيم يحمون الديارا
اذا طاغ طغا يوما وجارا
صهيل خيولهم في الساح رعد
يهز الشم يبتلع البحارا

بلادي إن حبك في فؤادي
وحب عروبتي يأبى انحسارا

تغلغل في الضلوع وصار غابا
يظللكم شبابا او كبارا

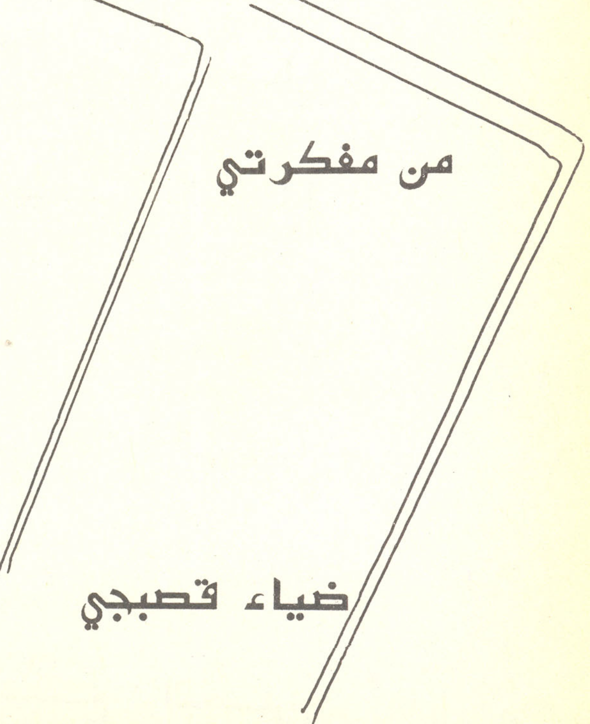
ينابيع العطاء ألا غدوتم
بموطن أمتي الثكلى غمارا

يؤرق موجها الهدار غبنا
ويمنح قاعها العدل النضارا

وكونوا في نوائبنا هداة
تقول الصدق سرا أو جهارا

اباة الضيم يحمون الديار ا
اذا باغ عتا يوما وجارا

صهيل خيولهم في الساح رعد
يهز الشم يبتلع البحارا



من مفكرتي

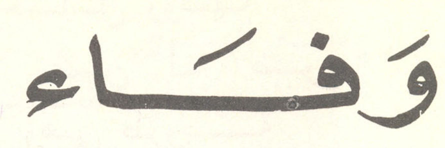
ضياء قصبجي

مهلا أيتها الاحداث الجميلة والمريرة
لست ارضى الا أن أتذوق الحياة بمرها
قبل حلوها .. بجبروتها وشقائها ، قبل بساطتها
فإن الحياة بكل ما فيها ومن فيها .. نفسي ذاتها

***

قطرات من عذاب الوهم .. دمعات من
وهن الفكر .. وأمسيات مغزولة بالكآبة .. وليال
من العتمة الموحشة .. وصبح من نهايات الليل
تتهاطل في نفسه ..
رفع سماعة الهاتف .. ليغير كل هذا الى
النقيض ..

***



شعر: خضر الحمصي

عرش تموج به الرؤى مخضوضر
يمشي اليك بتيهه يا أنور

أعكاظ هذا اليوم أم عيد به ؟
تزهو البشائر والمحبة تظهر

يا فارس الصحراء أنت حداؤها
ورباك جملها الصباح الأنضر

الشعر عندك سلسل من لؤلؤ
وقلائد يسعى اليها المنبر

أفنيت عمرك شاعرا متمردا
كالنسر في هوج العواصف تعبر

هذي ربوعك جنة وجمالها
فوق الجمال وفوق ما نتصور

كبر الزمان وهام في أمجادها
وترنح التاريخ وهو يكبر

وتماوجت في كل سنبلة علا
وترنمت في كل شبر قبر

لبست رداء الشمس فهي نقية
والصبح في أردانها يتبختر

توجتها من وحي شعرك هالة
رف الضياء بها وفاح العنبر

ووقفت أسأل في خمائل روضها
عمن لـه ضوع الأزاهر ينشر ؟
مالت اليك تشير وهي طروبة
فرح يباركها وطل يقطر
أوما أشدت معابدا قدسية
صلى بها قبل الخليقة عبقر
وغزلت أشعارا على أنفاسها
يصبو الرشيد هوى ويحلم قيصر
ومن الورود نسجت عرزال الهوى
ترتاده الديم الهتون فيزهر
أأبا علي ما عهدتك شاكيا ؟
محراب حبك بالزهور مزنر
أيظل قلبك بالعطور مولها ؟
يلقى الهوى يوما ويوما يهجر ؟
وترود أفاقا على أعطافها
أمل لـه تحيا وحلم أخضر
ولكل فاتنة بروضك موسم
ولكل لحن في فؤادك مزهر
أيظل ليلك حرقة وصبابة
وتعيش محروما وقبلك يصبر
يا شاعرا أغنى الوجود عطاؤه
الدر ملك بنانه والجوهر
ما قيمة الدنيا اذا هادنتها ؟
والنار في الأعراق وهج يهدر
إرفع منار الحب فوق شعابها
تهدي مدى الأيام من لا يبصر

ت للسمراء ما وسع الهوى
أفلا يغار الحسن منك ويخبر
سمراء رف الشوق في أحداقها
وبصدرها رقد السنا والمرمر
والشعر لملمه الجمال مشاتلا
وعلى الشفاه ينام ورد أحمر
سمراء ما حلم الزمان بمثلها
لله كم يغري الجمال الأسمر

**

يا شاعر الصحراء ضمخت الدنا
عطرا وسال على يديك الكوثر
أترى تعيد لنا الليالي صفوها
يا لليالي لو ترق وتذكر
أيلفنا ليل ويهرب صبحنا
وتغيب دنيانا وتهرم أعصر
هيهات يرجعنا الزمان الى الصبا
هيهات يغرينا الرضاب المسكر ؟

**

غرد ولا تفتر فأنت هزارنا
أنت النواسي الذي لا يقهر
والبحتري على مناكب مجده
في فيء عرشك يستظل ويخطر
أين السموءل من وفائك والندى
أنت الاباء فأين منك المنذر ؟
أنت المربي قد حضنت رسالة
عن سر روعتها الزمان سيخبر

أثبت للأجيال أنك خالد
تنمو المكارم من نداك وتكبر
أنت الأصيل إذا حبتك ضغينة
باديت بالاخلاص من لا يشعر
وسموت في خلق تأصل بالالى
كم خاب من ظن الاصالة تنكر ؟
كفر اذا عاداك من في قلبه
حقد وحمل الحقد طبع منكر
عاداك أقوام فآبوا خيبة
وبقيت منتصرا ونصرك أكبر
لا تأمن الحساد إن نادمتهم
عين الحسود متى غفلت ستغدر
فالموج يأخذ بالخديعة صيده
والبحر في هيجانه لا ينذر
مهما أساؤوا أنت فوق ظنونهم
بالشعر تخذل من اساء وتقهر
لا يهزم الليث الهزبر بغابه
تعدو الذئاب اذا أطل وتدبر
والعفو عندك قدرة وشهامة
من ذا سواك عن المثالب يغفر

**

مالي اشم عرار نجد والغضى
في نفح شعرك كم يطيب العنبر ؟
قد كرموك وأنت أهل للعلى
شرف تضاهي النجم فيه وتفخر
رقصت طيور المجد في عليائها
والحاسدون من البغاث تنمروا

فالشعر يرجع للأصالة نبعه

والدرب من غير الاصالة مقفر

بوركت في يوم الوفاء كشاعر

يعطي ويوهب ما يكن ويضمر

**

واليوم جئتك شاكيا ظلم النوى

فالبعد - يلجمني وقلبك يعذر

أنا ما هجرت الشعر الا أنني

أنبو به حينا وحينا أجهر

وتمر أيام وليلي قائم

وتمر أيام وليلي مقمر

ويثور في قلبي حنين أحبتي

ويعيش في صدري الوفاء الاكبر

وتشدني الذكرى لأرضي والصبا

فعسى بيوم الحق فيها أحشر ؟

أأظل في حلك الليالي مبحرا ؟

لا الصبح يدركني ولا هو يسفر

والله يعلم ما بقلبي من هوى

فالوحي يأتيني وحبك يأمر

هذا وفاء قد نظمت حروفه

من عمق قلب بالمحبة يشعر

فاقبل تحية شاعر مشبوبة

تتغير الدنيا ولا يتغير

**

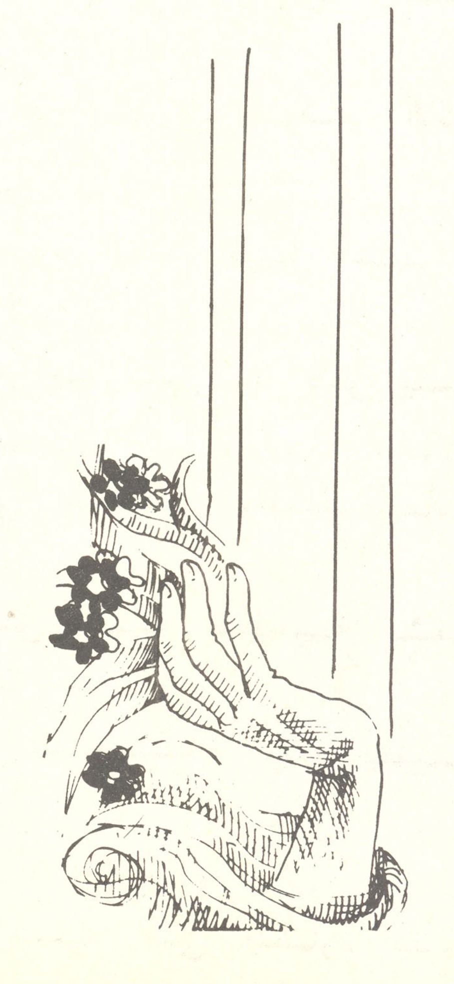
بارك لمدحة حبه ووداده

من ذا سواه على المكارم يقدر

و صاحب الفكر المنير وقلبه
نبع المحبة بالاصالة يزخر
وعلى ثنايا الرمل ألمحه ندى
يطفو على رمل الهجير فيزهر

البقية في العدد القادم

الزهرة والحرية



كزهرة برية تغلي في ذاتها
تريد أن تروي ذاك البريق
ليكبر ويكبر
كي يشع بعد زمن
كراية وأمنا وسلاما

**

كزهرة برية تبحث عن مثيلاتها
عن هواء طلق تبث فيه عبيرها
لكن الأرض قاحلة
والجو صقيع
والشمس بعيدة بعيدة

**

تبث الزهرة ما استطاعت من عبيرها
لكنها تحفر في جوفها نفقا
تخزن فيه عبيرها المتوالد أبا
وتنتظر خيوط الحرية
كي تنسج منها
ومن عبيرها
ومن نفسها
جسرا للقوافل المهاجرة
صوب الحرية

عبد الرحمن فستق

***